

باب العلوم

العلوم التي لا بد منها للعلماء وطلاب العلم تنقسم الى قسمين (مقاصد)
وهي العلوم الدينية (ووسائل) وهي علوم اخر لا بد منها ولا غني
عنها وتحت كل قسم انواع كثيرة ولكنهم الآن يقتصرون في
كل من القسمين على بعض الانواع ثم يجرون في دراسة ما اقتصروا
عليه على طريقة لا تفي بالغرض للقصد منه ونريد ان نبين
هنا جميع العلوم والمقادير اللازمة منها وما ينبغي فيها مبتدئين
بالمداول المشهور منها وهو الفقه والتفسير والحديث والتوحيد
والبلاغة والاصول والنحو (ومنه الصرف) والمنطق متبعين ذلك بغير
المتداول او المتداول الغير المشهور وذلك هو علم الدعوة الاسلامية
وتهذيب الاخلاق والتصوف والقرآن والتاريخ والجغرافية واللغات
الاجنبية والحساب والهندسة والانشاء والعروض ومترن اللغة وعلوم
حقائق الموجودات وخواصها واسرارها فنقول ومن الله
نرجو القبول

الفقه

الفقه هو اعظم العلوم عناية في المدارس الدينية لانه يشغل نصف
 مدة الدراسة تقريباً. بحسب الترتيب الاصلى. ولكن بما يوجب
 الاسف ان النتيجة التي تحصل بعد هذا العناء لا تستحق ربع
 هذا الزمان. اذ بعد ان يكون العالم قد اشتغل بالفقه تملأ من
 يوم طلبه ليوم تدريسه وتعلماً من تدريسه الى ما شاء الله لو
 سألته عن كثير من المسائل لقال: حتى اراجع مع ان ذلك يقص
 واضح وسببه عدم سلوك الطريق اللازم في دراسة الفقه
 اذ هذا العلم الآت من العلوم الثقيلة المصرفة التي لا ينفع فيها
 الا الحفظ مع تفسير المحفوظ بقدر ما ينبغي

اكثر الصعوبة في الفقه انما جاءت من عبارات الموءلفين
 وابداعهم المعاني الكثيرة في الجمل القصيرة. فقراءة هذه الكتب
 واجهاد الفكر في تصور معانيها ثم تركها وفهم غيرها لا يجدي ابداً
 وما الانسان فيه الا كمن يشغل وقته بالصيد ثم كلما اصطاد
 شيئاً افلته

طالب العلم بدل ان يشغل هذه الاوقات كلها بالفقه اعني

ساعتين في اول النهار للثلاثي وساعتين اخري للمطالعة من كل يوم من ايام اشتغاله على طولها ثم يخرج بلا نتيجة . وكيفيه ان يحفظ متناً كبيراً لا ياخذ منه اكثر من زمن مطالعة الفقه في السنة الاولى ثم يحضر شرحاً له مرتين على الاكثر في سنتين اخريين وشرحاً كبيراً مرة في سنتين ايضاً فيكون في هذه المدة قد تحصل من الفقه على ما ليس عند المشتغل به على طريقتنا اليوم ثلاثين سنة . ويكون له من اوقات الفقه الباقية ما يكفي العلوم المتداولة الآن جميعها

هذا واني ارى ان الاقتصار على تعلم مذهب واحد نقص لا يليق بالعلماء الآن لان تعلم العالم ليس الغرض منه ان يعمل فقط بل وان يعلم غيره وكثير من غيره على غير مذهبه وربما لم يجد سواه ليساله او كانت ثقته به اكثر فالاقْتِصَارُ حينئذ على مذهب واحد بمنزلة تعلم ربع الدين فقط ولو كان الامر صعباً لكان لنا من العذر ما يسوغ هذا النقص ولكن الامر سهل جداً وما هو الا ان يوضع متن تبين فيه المذاهب الاربعه ولو بطريق الرمز على وجه سهل مثل ما في الشاطبية ثم

يشرح شرحين مختصر ومتوسط وبجمل في الاطناط على الكتب
المختصة بكل مذهب وبهذه الوساطة يمكن الطالب ان يتقن
المذاهب الاربعة في خمس سنين وهو الآن يشتغل طول عمره
بمذهب واحد ثم لا يتقنه

هذا واني لتعزيني دهشة شديدة واستغراب عظيم كما
تذكرت حال علماءنا المتخرجين اليوم وجهلهم الشديد بعلم الفقه
وعدم عنايتهم به لانهما ولا تعليمها وذلك انه بمجرد ان تنتهي سنو
الطلب الاولى يترك المتورون هذا العلم ويقصرون جدم واشتغالهم
على العلوم الاخرى كالمنطق والاصول والبلاغة استعدادا للامتحان
الذي لا يعول فيه الا على مثل هذه العلوم دون الفقه والحديث
والتفسير ثم هم متي نجحوا فيه تركوا تعليم الفقه ايضاً واظهروا
براعتهم في تعليم المنطق والنحو والبلاغة . ولا ابالغ ان قلت
ان بعضهم لا يعلم من الفقه جميع ما يلزم له في عبادته اليومية
وبس هذا النقص الواضح والحال الفاضح الذي لا دواء له الا
الاعتناء بالفقه في الامتحان واعتبار التحصيل

التفسير

من الواضح الجلي ان التفسير من اهم العلوم الدينية التي يجب ان يكون العلماء فيها على مكانة واطلاع تامين بل من العلوم التي يجب ان ينشروها بين المسلمين كافة ليكونوا منها على بينة اذا كان القرآن اصل الدين وكتاب الله الذي يخاطب به المسلمين في كل زمان . واذا كان من العبث البين بل مما تأباه نفس كل انسان مهما كان منحطاً في مراتب العقل ان يأتيه كتاب (جواب) من احد الناس ثم لا يفهم معناه ولا يعرف ما يشير اليه (ولذا نرى لاميين يقصدون القراء كي يقرأوا الكتب الواردة لهم وقد لا تكون ذات فائدة) . اذا كان الامر هكذا فكيف يجوز ان لا يعرف واحد من المسلمين فضلاً عن علمائهم معنى هذا الكتاب الالهي بقدر ما تصحح به . معلوفه ، ويناسب حاله ودرجة فكره .

ليس من المحزون ان يتهلون علماءنا اليوم في تعاليم هذا العلم ونشره . مع الحاجة الشديدة اليه واليس من الخجل ان يدرك هذه الحاجة واحد ليس منهم كحضرة (فريدها وجدى) فيقوم بنشر تفسير بطريقة سهلة وهم غافلون عن مثل هذا المنهج الشريف

بل ليس من العار الاكبر ان يتهاونوا في تعلمه والاعتناء
به حتى ان اكثرهم يجهل معاني كثير من آيات التنزيل وربما
كان يكررها كل يوم في صلاته ولو سئل عن آية في محفل اكان
في الاغلب متردداً بين حالين اما ان يقول ما لا يعلم او يقول
لا اعلم وبئس الحالان

ذلك لانهم جعلوا هذا العلم من العلوم الثانوية التي ليس لها
حصص مقررة بل هي بحسب الاتفاق واهواء الاساتذة في القراءة
والطلاب في التلقي ولم يكن بينهم من موضوعات التسابق والتفاضل
كالبلاغة (وان كانوا يقولون فيها ان فائدتها معرفة اعجاز القرآن) والنحو
(وان كانوا يتعلمونه ليفهموا كلام الله)

سبب التهاون في التفسير

والسبب في هذا التهاون العام هو عدم الاعتناء بهذا العلم
في امتحان العالميه وعدم السير فيه على الوجه الذي يتأكد منه
الاساتذة ان الطالب على خبرة تامة بهذا العلم النفيس بل بالعكس
هم يجرون على منهج يعجب الانسان منه ويحار في فائدته اذ ليس
له حظ من معني (امتحان في التفسير) الا ايسم بالتفسير

ذلك لانهم يعينون للطلاب آية لكي يذاكرها ثم يأتي ليلقي
 معناها في كتاب لو غير كتاب فالجاري الآن ان الطلاب لا يعيرون
 هذا العلم التفاتاً بل ان اكثرهم لا يلقى درساً فيه ثم اذا جاء وقت
 الامتحان كانت عندهم القوة التي يمكنهم بها ان يفهموا من انفسهم
 او من غيرهم ما يقرأونه في الكتب . ففي هذا الوقت خاصة يفتحون
 كتب التفسير ليطالعوا على معنى الآية المعينة

فما هي اذا الفائدة من هذا الامتحان وما الذي يدل عليه من
 حالة الطالب في هذا العلم . وهل غاية ذلك الا ان يعلم هل عنده
 ملكة الفهم اولا وذلك اولا يكون قد علم من غير التفسير كالمنطق
 والتوحيد وثانياً . يستوي في هذا ان يعين له في كتاب الله تعالى
 لويس في قصة عنزة وليس لخصوصية كتاب الله دخل في هذا
 المقصد اصلاً

فالذي اراه وجوب العناية بالتفسير وان يعطي الامتحان فيه
 حظ من مساهمة بحيث لا ينال الطالب اجازة تدريس فيه الا اذا
 كان بحيث متى سئل عن اي آية اجاب ولا اريد ما يتعلق
 بالتحقيقات العارضة والمباحث العريضة بل يكفي بالدرجة المتوسطة

في ذلك المقدوره لكل انسان التي تحصل من مزاجولة التفسير المختصر
مرتين او ثلاث وان يكون امتحان التفسير هو ان يختبر الطالب
في معني عشر آيات على الاقل من سور مختلفة تقترح عليه في
المجلس ولا يكون له بها علم من قبل . والخلاصة ان العالم لا يكون
مستحقاً لهذا الاسم الا اذا كان بحيث متى سئل عن معني اي
آية اجاب واما الاكتفاء بانه عنده قدرة ان يفهم اذا قرأ في
كتب التفسير فلا يجوز اذ هذا لا يجعل بينه وبين عامة المتتورين
من غير العلماء فارقاً

اساليب التفسير

هذا ولا بد لي ان لقول هنا ان اكثر كتب التفسير المتداولة الآن
ناقصة جداً الا فيما يتعلق بمسائل النحو ونكات البلاغة . ونحو ذلك
بل اقول ان اكثرها مضر لانه يخيل للقاري ان الحقيقة صعبة
النال بالنسبة لكثرة الاحتمالات التي يذكرونها في كل آية بل
وكل كلمة

واتالله ان تفسير القرآن ليس بالامر بالمعروف . واذا كان القرآن
هو اصل العلوم ومنبع المعارف (وما فرطنا في الكتاب من شيء)

وهو الكثر الثمين والبحر التي لا تنفذ عجائبه فلا شك انه يتقدم
بتقدم الانسان ويطرق بترقيه في العلوم والمعارف . وأن كل من
اتقن فناً من الفنون فلا بد ان يجد في القرآن معني آخرومزية
اخرى وعجائب عامة لا يدركها من لم يحيط بذلك الفن فالتحوي
والبلاغي لا يمكنه ان يفيض الكلام في الآيات المشيرة الى نواميس
الكون وطبائعه وصاحب التاريخ لا يمكنه ان يسترسل في ما أخذ
المسائل الفقيه بل بقدر التمكن في كل علم تدرك وجهة من
معاني كتاب الله تعالى

فهو على ذلك كتاب يشترك فيه الكبير والصغير والبدوي
والحضرى والتمدن والمتوحش والسالف والماضر والآتى في كل
زمان وفي كل مكان . كل يغترف منه على قدر استعداد الفطري
او الأكسي لا يخالف حقيقة من الحقائق ولا طبيعة من الطباع
ولا ينقصه شيء .

ومن هذا الوجه فاتي ارضي الحاجة شديدة الى انتاج طريق
آخر يكون المعول عليه فيه بجانب العاطف ويكتسب صبغة التأثير
على حسب ما يناسب الناس اليوم ويلائم معارفهم . وفي هذا المقام

استحسن كثيراً الأسلوب والطريقة العمومية التي بنهجها فضيلة الاستاذ
الشيخ محمد عبده

الحديث

هذا هو العلم التي احاطت به العوارض الخطرة في ماضي الأيام
واشتغل به علماء الأمة قروناً فخصوه فيها فحفاوا واستخلصوا صحيحه كما
تستخلص ذرات التبر المنتشرة في التراب ولا يعلم الا الله مقدار
الصعوبات الجمة التي تكبدها العلماء في طريق هذا العلم الكبير فرما
سافر احدهم شهراً او اكثر من اجل حديث واحد حتى هذبوه ورتبوه
وعلم منه الحسن والصحيح والضعيف والموضوع ووجد في اسفار صغيرة
لا تكبر الا بذكر الاسانيد

افبعد هذا يجوز ان تكون منزلته عندنا كما هي اليوم وان
نقصر فيه هذا التقصير الذي تعيرنا به اكثر الامم الإسلامية

كيفية الاشتغال بالحديث اليوم

الاشتغال بهذا العلم اليوم كلالاشتغال بالتفسير ليس من مطمح
انظار الطلاب ولا من المعنى به بين العلماء ولا هو من الحصص

المقررة تقريراً ثابتاً وأكثر الطلاب لا يشتغلون به ومن اشتغل به
فإنما يكون منه ذلك على وجه (التبرك) أو الأمر الثانوي في الاعتناء
..والعلة في هذا التقهقر هي العلة في تقهقر التفسير اعني
التهاون في الامتحان فيه لان الامتحان في هذا كالامتحان في
ذلك بل التهاون هنا اشد واكثر الاوقات يكتبون بتلاوة الحديث
المعين وربما لا يهتم وربما لا يقرأ وقد علمت سخافة هذه الطريقة
وانه لا فرق بين حديث الرسول وقصة عنتره . ان تصور فيها فائدة
فلتكن معرفة قوة الفهم وهذه تكون قد علمت من علوم اخر

ثمرات هذا العلم

ثمرات هذا العلم والبيوعات على الاهتمام به كثيرة جداً وهي
اشهر من ان تذكر ولكني اخص بالذكر منها امرين عظيمين نحن
الآن في اشد الحاجة اليهما .
اما الاول فهو حفظ الدين من ان يدخل فيه ما ليس منه
وذلك لان امر الحديث غير منضبط ولم يكن يخشى على هذا
الدين من التبديل والتحريف الا من قبل الحديث ولهذا كان موضوع
الاهتمام من علماء السلف

ولا يخفى انه اليوم قد اشتهر على ألسنة الناس بل والعلماء
كثير من لاحاديث الموضوعه وقد يكون من معانيها ما هو مضاد
للدين بالمره وقد بلغت من التسليم ان يخطب بها على المنابر ويقولها
الكبير والصغير . اليس هذا تحريف الدين وتبديله او مقدمه ذلك
وهل يظن ان التحريف والتبديل يقان في الاديان الا على
هذا النمط

اليس من العار ان يقوم من نعتقد اننا احق بهذا منه مينا ان
هذا الحديث حق وهذا لا (سواء اصاب او اخطأ) ونحن فيه زوليا
المساجد لاهون او كسالى عن مثل هذا الواجب الجليل مشتغلين
بتحقيقات وتدقيقات لا فائدة لنا ولا للامة منها على التحقيق

بل اليس من العار ان لا يكون لنا من الاطلاع على الحديث
ما نعرف به في انفسنا ما هو صحيح وما هو غير صحيح
قد عد اسلافنا هذا عارا ونقصا في وقت كان فيه الغاية
التي لا تدرك والامنية التي لا تكاد تتحقق فما زالوا يمدون ويجهدون
و يواصلون الايام في التفتيش والتفتيش حتى تحصلوا على هذه الغاية
باكمل وجوهها ودونها في كتب بسيطة سهلة المثال ميسرة المانحة

افيد هذا يُلحق ان نكسل عن مد يدنا الى تلك الكتب وفتحها
لذرى ما فيها وهل هذا الاجماع يكسل ان يد يده الى مائة
بعد ان يتكون قد تعب رجال عديدون في تحضيرها

اما الامر الثاني فهو ما يفيد الاطلاع على الاحاديث من
ذقات ما كان عليه سيدنا الرسول واصحابه وما يعطيه جملتها ويشير
اليه من الاخلاق والاطوار والصفات والوجدانات والملكات التي
كانت تحيط بالامة في صدر الرسالة ونحن الآن في اشد الحاجة
الى الوقوف عليها

وبالجملة فان هناك معان تدل عليها لاحاديث مطابقة نحن
نجهلها مع اننا في اشد الحاجة اليها ومعان اخر مهمة جداً تؤخذ
من عرض الكلام نحن كذلك محتاجون اليها جداً لانها تتعلق
بتكميل الوجدان والشعور (والمرء محكوم بوجدانه وشعوره)

مسئلة السند

قلت فيما تقدم ان كتب الاحاديث ما كبرت الا بذكر الاسانيد
وهنا اقول ان الاسانيد ان كان لها حاجة الآن فهي ضعيفة جداً
ويكفي ان يعرف ان هذا الحديث رواه البخاري او مسلم او نحو

ذلك فلو درست كتب الحديث بقطع النظر عن الاسانيد لا يمكن للطلاب ان يطلع عن جملة كبيرة منها في زمن قصير. على ان هنا شيئين الاطلاع وتدبر المعنى اما الثاني فامر سهل ويكفي فيه ان يكون للطلاب بصيرة نيرة وملكة فهم معتدلة وهذا يحصل له من الاشتغال بالعلوم العقلية (والاحاديث المشكلة التي تحتاج الى المعونة في الفهم قليلة جداً)

ومتى كان الامر هكذا سهل الاول ايضاً وتبين انه لا حاجة فيه الى دراسة رسمية الا بقدر معلوم ويتم الطالب البقية وحده اطلاقاً فهو بهذا الوجه علم مطالعة اكثر منه علم تدريس القدر اللازم منه

والقدر اللازم منه لا يحدد وانما هو ما يجعل الانسان من المطلعين مع وجود ملكة الاهتمام التي تقتضي البحث والمراجعة عند الحاجة. ومن السهل جداً ان يطلع الانسان على معظم الكتب الستة وعلى نحو كتاب اللآلئ المصنوعة ومن الواجب ايضاً فيه ان يحفظ الانسان مائة حديث على الاقل من كلام رسول الله الجامع وكذا غيرها بحسب الحاجة الزمنية

طريق الامتحان فيه

واري ان يكون طريق الامتحان فيه مبنية على حفظ الطالب
جملة من الاحاديث وان يتأكد من انه اطلع على كثير من الكتب
مع معرفة الاصطلاح العام والخاص بكل كتاب من كتب الحديث
المشهورة

التوحيد

قاتل الله الجدل . لو نظرنا نظر المتامل لوجدنا سبب انحطاط
الامة النفرق وان اهم دواعي التفرق كان الجدل واختلاف الآراء
في مسائل التوحيد

اي نعم هذا لاختلاف في الآراء هو الذي فرق شمل الامة
وحرمها من منافع جمة وكنوز ثينة هو الذي جعل الامة امتين
(شيعية وسنية) ايل جعلها امماً كثيرة يكفر بعضها بعضاً ويلعن بعضها
بعضاً ويستحل بعضها دماء بعض وكم امر يفت دماء وخربت بلاد
وانتهكت اعراض بل وانتقم من أئمة كبار بل من جث هامدة
فارقتها ارواحها بانواع التعذيب والتمثيل والتخريق . كان هذا فيما

مضي وقد بقيت بقاياها الى الآن فليهد روي احد عقلاء الاورو باويين
المستهزئين باحوال الامم الاسلامية ان بعض الاعاجم افتخر امامه
بانه كان بحارب الدولة العلية في صفوف الروسيا لانها (سنيه)

كم حرم المسلمون من مزايا بسبب الاختلاف في التوحيد
كم لحق المسلمين من الاذى والتاخر بسبب الاختلاف في
التوحيد

كل هذا مما يدعوا الى اننا كما نبحث عن اصل المقصد وهو
وصف حال علمائنا اليوم في التوحيد وما يجب ان يكونوا عليه
كذلك نبحث عن الطرق التي استعملت في اواخر القرون الاولى
لتقرير علم التوحيد ولا يزال علمائنا يغنون على نعماتها وعن موافقتها
لمقاصد التشريع والمواجب اتباعه. ولكننا على اي حال لا نريد ان
نطيل المقال فهذا المقام يحتاج وحده الى شروح ضافية تشغل مجلداً
ضخماً. بل الذي نريد ان نقوله الآن ان اكثر الخلافات لاحقائق
لها وان حقيقة الامر في الدين الاسلامي اسهل وابسط من هذه
التحقيقات والتدقيقات ولا تحتاج الى مثل هذه المشاغبات والخلافات
التي قد يكون موضوع اكثرها مما لا يصاد الدين الاعتقاد فيه

بإيجاب أو سلب أو عدم اعتقاد أحدهما أو مما لا يجوز الخوض فيه
ولا تكليف العقل معرفته

وان طريقة النظر العقلي المجرد طريقة لا يفيد التوغل فيها
وحدها الا مخالفة المعقول وما هي اقوال كبار الأئمة تنادي بان
هذا الطريق صعب مخوف فقد حكى عن بعض الأئمة (اللهم ايماناً
كإيمان العجائز) وجاء في شعر بعضهم قوله

فاز الذي استكثرت منه هو الجاني عليّ عظام المعن
فضلت في تيه بلا علم وغرقت في يم بلا سفن
وقال بعضهم

لقد طفت في تلك المعاهد كإيا وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرا الا واضعاً كف حائر على ذقنه او قارعاً سنّ نادم

وحسبنا دليلاً انها غير المعهود في زمن الرسول بل وفي القرآن
والفرض انما هو حصول الاعتقاد الجازم من وجهة ثابتة مقدورة
للناس ليس فيها شيء من الحرج والنظر العقلي المجرد قد لا يفيد
من هذا الوجه اللهم الا بالنسبة الى اقوام قليلين وانما الذي يفيد

هو الدليل الذي يستمد من الحس والعقل معاً ويؤخذ من طبائع الوجود ونظاماته ومن المعهود في الفطرة ومن الوجدان الصحيح . طريق يشترك فيه العامة وخواص الناس . طريق يفيد الحق الصريح بل وان احتمل معه النقيض نظراً لضروب الجدل . طريق بين اطراف الافراط والتفريط

على انه وقد سلك المتقدمون تلك المسالك وجروا على هذه المذاهب وكونوا هذا العلم تكوينياً خاصاً فكان اواجب اما ان نجاريهم ونبلغ مبالغهم واما ان نتبع ما نرى انه خير منه ولكن مما يوجب الاسف اننا لم نحصل على احدى الغايتين ولم يكن لنا من هذا العلم المهم حظ الا جعل يسيرة غير كافية بالنسبة لما يليق بهذا العلم الكبير للمتقدمين مشارب كثيرة في هذا العلم ولكن علمائنا اليوم يتبع اكثرهم مشرب الامام السنوسي وهذا فيما ارى قصور وحرمان لان هناك مشارب اخرى انفس وادق واعلى

على اني اقول ان التوحيد ينبغي ان يقسم الى قسمين قسم يقصد منه تحصيل الاعتقاد الصحيح وآخر يكون الغرض فيه صد هجمات

المعترضين من اهل الفرق الزائغة . ولا شك ان كل واحد من القسمين يحتاج الى ما لا يحتاج اليه الثاني واعتناء المتقدمين بالثاني كان شديداً ولكن ما كتبوه لا يفيد الآن كثيراً لان خصومنا اليوم غير خصومنا امس والشبه الموجودة الآن غير التي كانت موجودة

فلهذا ارى انه يجب ايجاد كتب مفيدة للقسم الاول ثم دراسته نحو كتاب تهذيب الكلام وكتاب الملل والنحل ثم اعمال الفكرة في ما يجمع اهل الشبه الكثيرة المنتشرة اليوم فان اكل زمان مقال والاقتصار على قراءة كتب الاولين التي هي في الحقيقة تاريخ المغالين الاقدمين والرد عليهم غير كاف اذ العلماء حماة العقائد وواجب عليهم النظر فيما يليق ان يحموها به وفي كيفية الحماية فان سيدنا الرسول قد حى الدين بالسيوف والحراب ومن اللوازم انه لو كان في زماننا هذا حماه بالبنادق ومدافع مكسيم

هذا كله فيما يتعلق باصول العقائد اما ما يتعلق بالدعوة الاسلامية واقامة الادلة على صحة الدين الاسلامي وحقه رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذا لا اراه مسألة من علم التوحيد بل ذلك علم مستقل وهو من العلوم الجهولة عند علمائنا اليوم

الا بنحو الدليل على ذلك انه اتى بالقرآن المجز و امثال هذه
الكلمات الاجمالية التي لا تفيد في زماننا هذا ولا تنفع الخصوم

البلاغة

لا اري شبيهاً للحال علمائنا وطلابنا في دراسة البلاغة الا حال
من يقرأ في كتب بعض الصوفية ويقول (الجمع وجمع الجمع والفرق)
ونحو ذلك من غير ان يعرف ذلك كما ينبغي او يتحقق به او
يجده كما يجده الصوفي وذلك لان هذين العلمين (التصوف والبلاغة)
مبناها ليس على العقل والتصور او التصديق بل المول عليه فيهما
النوع من الادراك المسمى (بالوجدان) او الاخساس والشعور الباطني
الذي لا يحصل الا بالتحقق بتلك المعاني كما لا تعلم لذة العسل
وطعمه الا اذا ذقته وكما انه ما يبر عنه في التصوف يجمع الجمع
هو حال وجداني (نفساني) خاص لا يعرفه حق المعرفة الا من
تحقق به كذلك امر البلاغة لا يعلمها حق العلم ولا يصلح
للاتسباب اليها الا من رقى وجدانه وصفا ذوقه ودق احساسه حتى
صار يشارك البلغاء في التأثير والتأثر

وعبارة اخرى ان البلاغة الوصفية لا تنبدي دون العملية اذ

هي ليست من العلوم التي كالمعرفة فقط بل هي من العلوم
الصناعية وغايتها الملكة التي تنشأ عنها الآثار فما لم توجد فلا
بلاغة

واقدم كانت هذه الملكات عند اهلها تحدث تأثيراً يفوق
الوصف ربما اذهب الارواح او حصل منه الاغناء
وهذا الحال الذي اراه كلاً في البلاغة لا يحصل الا من
امرین تصور معاني دقائق البلاغة ونكاتهما ثم التحقق بها فاما
تصورها فطريقه تدبر مسائل المعاني والبيان والبدیع الا ان حصوله
من اعسر الامور لان التعبير عن ما يرجع الى الوجدان وتصويره من اصعب
الاشياء ولهذا ترمي أئمة هذه الفنون يكثرون من الجمل المترادفة
بحسب الظاهر ويطنبون في التفسير و يكثرون من الامثلة والشواهد
والمقارنات لكي يمكنهم بمجموع ذلك ان يخيلوا المعني للطلاب تخيلاً
يقرب من الحقيقة

واما التحقق بها فطريقه حسن التأمل وكثرة التدبر ومطالعة
كلام البلغاء مع مزيد العناية والالتفات الى دقائقه والتأمل في
اسرار كلام الله وحديث رسوله وبالجملة فهو لا يرجع الى امر خاص

ولا شيء معين الا ان سلامة الطبع والاستعداد الفطري العالي
دخل كبير فيه

ومما يوجب الاسف ان علمائنا اليوم يقتصرون على الشطر
الاول المفيد لتصور معاني البلاغة الا انهم ايضا لا يوفونه حقه
من وجهين الاول ان الكتاب الذي يدرسه وهو (تلخيص الخطيب)
غير وافية جملة بصوير المعاني كما اراد واضع العلم وكما صورها
أئمة الفن فهو من هذه الوجهة مختصر اختصاراً مخلاً والثاني ان
البحث في ما كتبت علي هذا الكتاب من الشروح والحواشي والاعجاز
التي لا تكاد تحصى لا يدور على استجلاء حقائق المعاني المقصودة
من هذا العلم واستطلاع مكنونات نقائسها بل على اشكالات
ومباحث اما لفظية واما عقلية خارجة عن اصل المقصود

ولهذا فاني ارى ان يكون الاشتغال بهذا العلم على نحو هذا
الترتيب* يحفظ متن التلخيص او ملخصه ويطالع الشرح المختصر
مطالعة متوسطة ثم يدرس قسم البلاغة من المفتاح ثم اسرار
البلاغة ودلائل الاعجاز وكل هذا يتم في ثلاث سنين او اربع على
الاكثر ولا بد مع هذا من مطالعة كتاب (كالمقد القرين)

البلاغة في الأسلوب

وهنا لا بد من ملاحظة ان هناك نوعاً من البلاغة حقيق ان يسمي (البلاغة في الأسلوب) وهو المنفرد اليوم باسم البلاغة عند أكثر العامة ومرجعه الى انحاء أساليب خاصة وبعض مقررات تنفيذ التأثير مع نوع غمراة لا توصلها الى حد الوحشية وقد يكون هذا النوع المعتصلي لو عرض على دقائق البلاغة لم يكن بليغاً ولكن هو على اي حال لا يجب اهماله بل قد يكون الاعتناء باتيان كلام من هذا القبيل مفيد واشد تأثيراً من الاتيان بكلام ما يوفق للقانون على طعن البليغ في القانون هو ما اثره وهذا النوع هو كما يستعمله اليوم اكثر ارباب الجرائد والكتاب

الاصول

علم الاصول بحسب اصل وضعه علم جليل يوقف الانسان على الاسرار التشريعية وكليات الشريعة ومقاصدها الخ ولكنه عراه الان على حسب ما بايدنا خمسة موانع ابعده عن الغاية المقصودة لاول انه لم يعين فيه مقاصد الشريعة واسرارها وحكمها وما لوحظ من المصالح

في اوضاعها الكلية والجزئية وانما اكثر فيه من المباحث التي تدور
 على الامور التي ترجع الى القشور والتمسك بالظواهر . الثاني انهم
 اكثرها فيه من الخلافات اللفظية بغير جدوى وبدون فائدة ومن
 الخلافات التي لا يترتب عليها شيء من الاحكام الدينية . الثالث
 انهم ادخلوا فيه كثيرا مما ليس منه بل هو من العلوم العربية او
 غيرها . الرابع انهم اكثرها فيه من الجدل وخرجوا بمسائله الى
 المعنى العقلي المجت والذين اخرجوه هم من اشتغلوا به من جديلي
 المتكلمين حتى كانهم نسوا بالمره ان الغرض منه ان يبيى عليه الفقه
 ولذلك اهملوا التفريع بالمره بخلاف اصولي الفقهاء من الحنفية فان
 مسلكهم في ذلك هو المسلك اللائق المقبول . الخامس ان الكتاب
 الذي اشتهر وتداولته الايدي في هذا الفن واعني به جمع الجوامع
 غير واف بالمقصود وذلك لان صاحب المتن اراد ان يجمع الاسفار
 الكبيرة في كلمات صغيرة ييسر حفظها . وهذا على الجملة عمل مفيد
 وكان الذي ينبغي حينئذ تاليف الشروح الواسعة لتبيين اصل المسائل
 المذكورة فيه على طريق الرمز والاشارة بالايضاح الكافي حتى يمكن
 للطالب ان يحفظ ثم يفهم ولكن جرى الامر على خلاف هذا تماما

واليك البيان

شرح المحلى هذا المتن شرحاً في غاية الإيجاز حتى كأنه مع
 المتن متن لا يزال في دائرة الاختصار ثم جاء الكاتبون بعده ونظروا في
 المتن والشرح نظر المنتقد على التأليف في لفظه وتركيبه لأنظر
 المبين المفيد ليقولوا إن هذا التأليف غير مستقيم ثم جاء قوم آخرون
 ينتصرون لصاحب المتن والشرح بتحقيق أو بغير حق وولفت الأسفار
 وشحنت الأوراق بأخذ ورد ثم جاء آخرون كالمعتادين ليحكوا بين
 الطرفين وجل البحث في جميع ذلك عائد للفظ المتن والشرح
 لأنفقه المسائل بل ذلك رموا به وراء ظهورهم جملة ولو أحصي
 المكتوب على هذا المتن في هذه المباحث السخيفة عديمة الجدوى

لكاد يبلغ مائة مجلد

ولا بالمران قلت إن هذا الكتاب بما كتب عليه صار سداً
 مانعاً من تعلم الأصول وإن الطلاب بعد أن يعانون أشد المعاصب
 في تقيمه السنين الطوال يخرجون بلا فائدة كأنهم ما عرفوا الأصول
 فلذلك أرى حرصاً على الفائدة أنه لا بد من حفظ متن في الأصول
 ولو كان متن جمع الجوامع كان حسناً وفي التلخيص أما إن يوافق

شرح جديد واف له واما ان يبدل بغيره من نحو المنهاج . وهنا لا يد
لي ان اشهر الى ذاك الكتاب الثمين الذي لا يصفه باكثر من انه
بعد للانسان للاجتهد واعنى به كتاب (المواقف) الذي لا يشارك
كتب الاصول الا في الاسم والا فهو معنى آخر ومشرى ثانی
اولى به ان يسمى مقاصد الشريعة واسرارها او عنوان التعريف
باسرار التكليف كما سماه صاحبه اولاً فان مطالعة هذا الكتاب
متعينة على الطلاب والله اعلم بالصواب

الثم

هذا العلم ليس من العلوم المقصودة لذاتها والغرض منه ان
يعرف الانسان كيف يكتب وكيف يقرأ وكيف يتكلم بلسان بلغة الاسلام
العربية ثم هو في ذاته ليس من العلوم العقلية القابلة للبحث والتوسع
بل مداره على النقل واستمداده من المسموع والمنقول عن العرب الفصحاء
وليس له من علة وراء ذلك كما هو شأن جميع اللغات ومن الواضح
وجوب الاشتغال به ولكن على وجه يضمن حصول الفائدة منه
مع تمام السهولة والقرب كما هو شأن الامور المقصودة لغيرها
ولكن مما يجزى ويوجب مزيد الاسف ان الاشتغال به

الآن جار على كيفية تناقض افعال الحكماء المنزهة عن البحث .
ضباع زمان يكفي اكثر من عشرة علوم ومع هذا كله فلا تحصل
الغاية . فالطالب من يوم قذومه يشتغل به مبتدئاً بشرح الكفراوي
المبتديء بذكر (اوجه البسطة) ودقائق النحو منتهاً الى حاشية
الضبان على شرح الاشموني في مدة ثمان سنين ومع ذلك لو
سألته عن اكثر المسائل النحوية اجابك (موش في بالي) هذا فضلاً
عن انه بعد هذا الاشتغال لا يمكنه ان يحسن التكليم بالعربية ولا
القرائة بها وكم من المدة يمضي في هذا التعلم العقيم ثمان سنين
على الاقل باعتبار اربع ساعات في كل يوم . ساعتين للدرس وساعتين
للذاكرة فاي فساد اكثر من هذا الفساد . تلك الكتب الكبيرة
لمست كلها منحوراً صرفاً الى اكثرها . مباحث جديدة الجدوي
يقصدون بها التفلسف في النحو والصرف لغرض توسيع دائرة الفهم
ولكن هي اولاً لردائها وسخافة موضوعها لاتفيد الاخذارة العقل
وحظه الى التخصيص السافل وتقرينه على تعليل الامور بالعلل
الحزافية اللوافية وانحرافه عن جادة الصواب فضلاً عن انها تكون
عقبة دون فهم مسائل النحو واحرازها جملة في العقل لما يكون حينئذ

من التثنية

ومن الواضح مما تقدم ان النحو امر نقلي المدار فيه على السماع وليس ميداناً للبحث وتسايق الفكر فلا يصح ان يكون المرسع الذي يعلم فيه الفهم وتربي فيه الملكات بل الواجب ان يؤخذ مسلماً في ربيع الزمن الذي يصرف فيه الآن او ثلثه او نصفه وفي الباقي تعلم علوم اخرى يصح ان تكون ميداناً للتنافس في البحث فيستفيد تلك العلوم ويستفيد الملكة على اتم وجه ويمكنه حينئذ ان يعلق على كتب النحو احسن او مثل ما هو معلق عليها الان من الجواشي

على ان كون الغرض من النحو ضبط احوال الكلام العربي كما كان ينطق به اهله يدعوننا للتفكير اليس هناك طريق اخرى توصل الى هذه الغاية وتكون اسهل واقرب وهل كل ما قاله النحاة لا بد منه لهذا الغرض وهكذا الحال في كل علم يكون الغرض منه الوصول الى غاية معينة فبني امكن نحويره او تقريه او تسهيله او بدت طريق اخرى اخصر فلا يجوز الا بئس كان ولا التعويل على الاول لان هذا يكون حينئذ من الجور المضر الموهخر

ومن هذا غايي اري اولاً انه لا يجوز ان تكون دراسة النحو
وصفية محضة بل لا بد من ملاحظة العمل والتطبيق تكليماً
وقراءة

ثانياً ان تحذف منه سائر المباحث التافهة المشوشة والمعوقة
ثالثاً ان تكون كيفية للدراسة على نحو هذا الترتيب* تفسر معاني
الاجرومية بدون تعرض للاعراب الا بقدر الضرورة وان كان
لا بد من شرح فليكن شرح الشيخ خالد وبعده يكون شرح الكفراوي
ثم يقرأ شرحا القطر والشذور ثم تحفظ الالفية ويقرأ شرح ابن
عقيل مرتين وكل هذا يتم في ثلاث سنين او اربع اما نحو الاشموني
وغيره فيكون من كتب المراجعة

المنطق

المنطق مفتاح الحكمة ودليل الصواب ومقوم العقل وموسع
دائرة الفكر . ولكن ذلك يكون له حيث يصير ملكة للانسان
يسهل عليه جعل حركاته فكهرة مرتبة عليه وهذا انما يحصل بكثرة
التمرين والاستعمال اما مجرد فهم مباحثه ومعرفتها فقد لا يفيد الا
من جهة انها مباحث معقولة تورث تنوير للفكر

نسبة المنطق للفكر كنسبة النحو للتكلم هذا يقوم المعقول وذاك يقوم الالسنة . وكما ان مجرد معرفة مسائل النحو لا تفيد فائدة ما لم تلاحظ المرات العديدة في النطق حتى يصير ملكة يسهل معها التكلم بالعربية وقراءتها فكذلك مجرد معرفة مسائل المنطق لا تفيد ما لم يكثر الانسان من ملاحظته في افكاره حتى يصير ذلك ملكة له

ويفارق المنطق النحو بان مسائله معقولة قابلة للتوسع والتعليل وها فيها يفيدان فائدة عظمتى من جهة تقوية العقل واستخراج نفائس المعقول وخواصه

ولكن مما يوجب الاسف ان علماءنا اليوم يسلكون فيه تقيض المطلوب . فهم اولا يكتفون فيه بمجرد معرفة المسائل من غير استعمالها وقد تغالوا في ذلك الى حد جعلهم يقتصرون على امثلة خاصة مفردة يتلقاها الطالب عن المعلم ولا يتعداها الجميع

ثم هم ثانياً ياخذونها مأخذ المنقول ولا يتوسعون فيها التوسع المطلوب وقد لا تفتن افكارهم لعملة الحصر او سبب الاشتراط او كيفية الانتاج وسره وغير ذلك من الاشياء المفيدة المنورة للعقل

هنا في حين انهم ياخذون النحو مثلاً وهو من العلوم التي
لا مجال للعقل فيها مأخذ المعقول ويتوسعون فيها توسعاً مضرّاً غير
مفيد ويكثر من العلل التافهة المفسدة للفكر والمباحث
التقييمية التي لا فائدة لها الا الضياع والتشويش وهذا لعمري تناقض
غريب وما هو الا كرجل يعدو بجواده داخل المدن في الحارات
الضيقة المزدهجة فاذا ما خرج الى الفضاء مشى الهويماً وابطأ
في المسير

علم الدعوة الاسلامية

كان المتقدمون يعملون ما يختص باثبات الرسالة المحمدية مسألة
من مسائل علم التوحيد يوجزون المقال فيها ويستدلون على صدق
الرسالة بانه ادعى النبوة والرسالة وظهرت على يديه المعجزة وهي
القرآن ثم يفيضون في ان دلالة المعجزة عقلية او عادية الخ اما اليوم
وقد اتوسع اعدائنا في الطعن على الاسلام ولفقوا من الشبه
والمفترقات ما على الاسفار الكبار وتفتنوا في الاستدلال على بطلان
الاسلام واوجدوا من الاساليب والمطاعن ما لم يكن معهوداً من
قبل وحملوا على المسلمين حملة شديدة منكرة فقد وجب افراد هذا

الموضوع وجعله علماً مستقلاً تستبطن فيه الادلة المتنوعة وتنفذ فيه الشبه بطرق معقولة مناسبة لمعارف الناس اليوم واحوالهم

اعمل اعدائنا الفكر وسهروا الليالي في استنباط الادلة التي يرونها معضدة لهم والاساليب التي يمكنهم بها لفتاع الناس واوجدوا شبيهاً كثيرة ربما يشبه حالها على اكثر البسطاء (لايسع المقام تفصيلها) ونحن نائمون لاهون معرضون عن هذا كل الاعراض كأنه ليس من الامور الدينية التي يجب الاشتغال بها

ليس من النقص الفاضح والعار الكبير ان يدرس دعاة النصرانية القرآن وكتب التفسير والحديث والسيرة الخ ليجدوا منها غمزاً او باباً يدخلون منه على الخط من كلمة الدين الاسلامي وان يستشهدوا في سبيل تأييد آرائهم بالاخبار والحديث والآيات القرآنية والوقائع التاريخية (وان كان استشهاده مقلوباً) في حين اننا نرى مما يقرب من الكفر لس كتبهم بايدينا فضلاً عن اقتنائها ومطالعتها وتامل ما جاء فيها

ليس من العار ان توجد مدارس دينية كبرى تحوي اثار المؤلف من العلماء والطلاب ولا يوجد لها اثر ما في حماية الدين

ونصرته والدفاع عنه بشيء معقول مؤثر على الناس اليوم

ليس من العار على علمائنا ان يوجد في باعة الكتب وآحاد
الناس من يحسن ذلك ويعتني به دونهم. اليس من العار على علمائنا
ان يفتنوا اعمارهم ويجهدوا انفسهم في تحقيقات وهمية فارغه
عاريه عن الفائدة بالمره ويهملوا مثل هذا الواجب الجليل الذي
يتعلق باصل الدين ورأسه

ماذا يكون حال علمائنا اذا التقى احدكم ببعض الدعاة للنصرانية
الذين يحفظون من الشبهه والتوبيهات ما لا يخاطر بيانها في محفل حافل
وجهرى بينهما جدال (بالتى هي احسن) افلا يكون عجز علمائنا وظهور
الخصم عليهم (في ظاهر الامر) من اكبر القائص التي ربما دعت
الى اشكك بعض المسلمين

من هو القائم الآن من علمائنا بالدعوة الى الاسلام من طريق
الاقتناع والبرهان . بل من ذا الذي يمكنه ان يدعو ويقنع ويعرف
كيف تكون الدعوة

للدعوة طرف واساليب بعيدة عن علمائنا اليوم بصورتها

ومادتها

ايظن بعض علمائنا ان الدعوة الى الاسلام تكون بنحو
(يارجل اسلم . الاسلام حق . دين النصرانية منسوخ) ونحو ذلك
من العبارات التي لاتفيد الا الازدراء والتحقير

ان قلب العادات والاديان وتحويل الناس عنها ورثوه عن
آبائهم ليس بالامر السهل كما انه ليس بمحال
انا لالابالي ان اقول ان اكثر علمائنا اليوم لا يدري كيف يدعو
الى دينه بل ولا يخطر له ذلك على بال

ان طرق دعوة النصراني غير طرق دعوة اليهودي غير طرق
دعوة الوثني غير طرق دعوة المجوسي ودعوة الشرقي غير دعوة
الغربي ودعوة المتوحش غير دعوة المثقن ودعوة الزكي غير دعوة
البليد الخ الخ ومن ذا الذي يمكنه ان يحسن بعض هذه الطرق
اليوم من علمائنا

اذا لم نرد ان نقوم بهذا الواجب الاقدس خوفاً من الله
وتقرباً منه افلا ينبغي ان نأخذنا الحمية الفطرية (والانسان مفتطور
على حب الدعوة الى دينه) والا نأخذنا الغيرة من غيرنا والا نفعل
ما يرقينا بين الناس وبذهب عنا مسؤولية التقصير

يندهش الافرنج من سرعة انتشار الدين الاسلامي ولكن
على يد من هذا يكون على يد التجار واحاد الناس الذين يتجولون
في الاقطار لاعلى يد ساداتنا وكبرائنا العلماء الاعلام
لو كان للعلماء عمل ما في اتقان واجب الدعوة وطريقها ونشر
ذلك بين افراد الامة لعاد عليهم شيء من المدح والاعتراف باداء
الواجب بازاء هذا الانتشار وان لم يباشروه بانفسهم ولكن كيف
ولا عمل لهم في ذلك اصلاً وكيف يجوز لهم ان يفتخروا بمثل
هذا التقدم الذي ينبغي ان يكون سرورهم به مقروناً بالخجل

اذا كان هذا حال الاسلام في الانتشار والتقدم والمكفون
بهذه الاعمال كسالى لاهون فكيف يكون الحال لو قاموا بها حق القيام
اليس ذلك مما يضاعف المسؤولية عليهم . انا لا اريد من علمائنا ان
يجاروا دعاة النصرانية في طيشهم ودعوتهم وافعالهم القبيحة
المخلّة بالادب وانما اريد ان يكونوا على بينة من الامر وان يقوموا
بالعمل اللائق المقبول عند العقلاء

قد يكون من الحماسة والجهل الاعتذار عن هذا الاهمال بان
الدعوة الآن لاتفيد لان هذا عذر لا يقبل بحال فقد داتنا اعمال

الانسان واقتداره الفائق على انه ليس هناك شيء بعيد على الفكر الجيد المصحوب بالثبات وان الانسان متى جد واجتهد واستعمل قواه العاقلة واستخدمها كما ينبغي واستخرج ثمراتها وكنوزها نال فوق ما يتمناه. وعلى فرض ان هذه الدعوة لاتفيد مع فويق من الناس فلا جرم انها تفيد مع غيرهم والحوادث الكثيرة اصدق دليل على هذا. وعلى فرض انها لاتفيد اصلاً فذلك لا يمنع من وجوبها اذ لا عذر الا بعد فعل المقدور وانما علينا البلاغ والدعوة الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن ونحن لانهدى من احبينا ولكن الله يهدي من يشاء

وقد يكون من اكبر التفريط والخطاء الفاحش التفاخر بثبات عقائد المسلمين بازاء ما يأتيه دعاة النصرانية من الاعمال فان هذا ان صح ان يقوله احد فليكن غير العلماء الذين يجب عليهم ان لا يتكلموا على مثل ذلك وان يبدلوا قصارى الجهد في الدفاع وحمية العقائد وتوطيد دعائمها بما يأتيون به من جليل الاعمال

فلهذا ارى وجوب ايجاد علم جديد باسم (علم للدعوة الاسلامية) تكون غايته اثبات صحة الدين الاسلامي بايراد الادلة بوضع

الشبه على حسب ما يوافق الناس اليوم ويناسب مشاربهم ودرجة معارفهم وان يتوسع في هذا العلم بقدر ما يمكن ويبدل فيه منتهى الجهد والعناية والاختراع والاكتشاف وان يكون من اهم ما يبنى عليه ذلك العلم الاطلاع على كتب الديانات الاخرى وبحثها بحثاً دقيقاً ومعرفة دقائقها وحقائقها بالتفصيل الكافي والاطلاع على ما كتبه علمائنا الاولون وغيرهم في هذا الموضوع ككتاب اظهار الحق وما في كتاب الملل والنحل لابن حزم والله خير موفق ومعين

علم تهذيب الاخلاق

حاجة العلماء والطلاب الى هذا العلم لا تخفى اولاً لغرض تعديل اخلاقهم وتقويمها ورفع هممهم عن الدناءة واتصافهم بالفضائل ومعرفتهم كمال الانسان من حيث هو انسان وثانياً لغرض اعدادهم لان يكونوا هداة مرشدين داعين الامة الى فضائل الاخلاق ومحاسن الشيم

اذا كانت العلوم تشرف بشرف غاياتها وآثارها فان هذا العلم من افضل العلوم واعلاها قدراً واحقها بالرعاية والالتفات والعناية خصوصاً من العلماء وطلاب العلم لانه يتعلق بتربية النوع الانساني

وبلوغه اوج الكمال فيما يتعلق بشؤون المعاش والمعاد . علم يدعو الى الابتعاد عن الشرور والمفاسد والاقتراب من الخيرات والمصالح . علم يدعو للتقدم ويرسم للانسان طريق الخير والسعادة . ان الامة التي لاتروج بضاعة علم الاخلاق في اسواقها خديرة ان تكون احط الامم واخسها وان تكون رهينة الذل والنقص حليفة الاحتقار والصفار

لو كان علمائنا من اهل الكمال في الاخلاق لطالبنا بالاشتغال بهذا العلم والتوسع فيه والتقن واظهاره بالصور المناسبة لمقول الناس ومعارفهم واحوالهم وعاداتهم فكيف وحالنا في ذلك معلوم مشهور

اعتنى علمائنا الاولون وغيرهم من الحكماء السابقين بهذا العلم النفيس وفتنوا فيه وبرزوه في صور مختلفة تناسب احوال الاطفال والرجال واهل الجمود والمتورين فكانوا مرة يجرونه على السنة البهائم واخرى على السنة الطيور ومرة يصيغونه في حكاية خرافية ومرة في الاشعار واخرى في نمل ثرية عربية او عامية وتارة في مباحث فلسفية او فصول دينية وقد تابعهم الترييون في ذلك

وكان من اهم ما اعتنوا به في ذلك امر الروايات والتمثيل لان ميل النفوس اليها اكثر وتأثيرها اشد . افبعد هذا يجوز ان نترك هذا العلم النفيس ويشتغل مؤلفونا وعلماؤنا بان ان زيد الخطأ في زيادة كلمة وعمر الخطأ في نقص اخرى الى غير ذلك من المشاغبات التي لا تجدي نفعا

لو اشتغل علماؤنا بعلم الاخلاق لوجد في انفسهم من الراحة الروحانية ما يحقق لهم معنى السعادة وان كانوا في فقر او احتقار من الناس او نحو ذلك من النقائص الحسية التي ثقلت كاهلنا لو اشتغل علماءنا بالاخلاق لكفى بعضهم شر بعض وكفوا شر الناس وكفى الناس شرهم وراوا ما يقر اعينهم من انواع التبجيل والاحترام المحبوب للانسان بالطبع

ليس كل عالم يمكنه ان يقرأ علم الاخلاق ولا ان يوجد الاثر المطلوب لان ذلك صناعة اخرى غير قراءة ساير العلوم تحتاج لان يكون الانسان كاملاً في خلقه وفعله مؤثراً في عبارته حسناً في فراسته قوياً في بصيرته زكياً في فكره مقدرًا متصرفًا الى آخر ما سيأتي في لوازم الارشاد ولكني مع هذا ارى وجوب

اشتغال عالمائنا به تعاماً وتعلماً وما لا يدرك كله لا يترك كله وكل صغير ينمو مع العناية ثم هو وان لم يحتاج الى درس خاص به وامكن اعطائه في كل الاحوال الا اني ارى ان نعم اعطائه ثم نفرد له دروس خاصة يكون موضوعها دراسة نحو كتاب (تهذيب الاخلاق) لابن مسكويه والله خير موفق ومعين

علم المتصوف

لا اريد من المتصوف تلك الالغاز والمعميات والطلاسم من كلام بعض الصوفية في حقائق الموجودات والالهيات والمقامات وسائر ما يتعلق بالمكاشفات كما جاء عن ابن العربي وغيره فذلك ان كان وهمياً خيالياً فظاهر وان كان حقيقياً فلا اري ان ينشر ويصرح به ويودع كتباً فضلاً عن ان يدرس ويتلقى في المدارس لانه فوق طور العقل الانساني بالمره فلا يليق ان يلقى الا لمن يعرفه ويتاهل له ونشره بين الناس مضر غاية الضرر لانه فضلاً عن غموضه فان عباراته قد تدل بحسب ظاهرها على شيء غير المراد ولا يجوز ان يراد وذلك لان من اجوب الاشياء التعبير

عن الوجدانيات . ولا اريد خصوص ما يتعلق بالاصطلاحات والرسوم
التي وجدت في التصوف ومنها تنوعت الطرق واختلفت العادات
والاحوال عند من ينتسبون الى التصوف

وانما اريد على الجملة جميع ما يتعلق بحاسبة النفس ومجاهدتها
في منازعتها الشهوانية والبحث عن احوالها وتصفيتها حتي يحصل
لها الوجدان الروحاني العالي والذوق النوراني الشريف وهذا كما تجد في
كتب الغزالي والقشيري وامثالهما من الكلام على المنجيات والمهلكات
وغير ذلك . وتالله ان الانسان اعجب ويندهش حينما يرى
رجال الدين اليوم ينقسمون الى قسمين رجال علم ورجال طريق
او (فقهاء وصوفية) ثم يرى اكثر الصوفية او المتصوفين من الغباوة
والجهل والدناءة بالقرار المكين وهم مع ذلك بيدهم مفاتيح قلوب
الامة وهم اصحاب السلطان الاعلى والكلمة التي لا ترد عند الجمهور
بل وفي داخلتهم الخصوصية وقد بنوا هياكل وسجوناً وصنعوا
اغلالاً وقبوداً وعملوا شباكاً ومصائد من الاوهام والتأثيرات والخرافات
بالنسبة للامة (وهم جمهور الناس) وادخلوا في الدين ما ليس منه
واخرجوا منه بعضه بسبب جهلهم الكثير . ويرى اكثر القائلين

بالعلم قد وقفوا عند حد التصور او التصديق بالاحكام الشرعية
 العملية دون ما يتعلق بالاخلاق الدينية وتصفية النفس واحوال
 القلوب وتعميرها بالانوار القدسية والاسرار الروحانية ولم يزجوا بانفسهم
 في ميدان العمل ايضاً كأنهم اعتقدوا انهم بما تصوروا من كتب
 الفقه والتوحيد قد امكنهم ان يتصوروا الكمال الاسلامي ويتحققوا
 بالفاية التي يدعو اليها الاسلام وانه ما على ما علموا من مزيد وان
 الكمال في العلم يفنى عن الاشتغال بالعمل

مع ان الحقيقة انه لا يجوز التفريق بين قسمي العلم الاسلامي
 (ما يتعلق بالاعمال الظاهرة وما يتعلق بالاحوال الباطنة) ولا
 التفريق بينهما وبين العمل ولا يصح ان يكون هناك من
 رجال الدين من تكون غايتهم ان يعلموا من غير ان يعملوا
 ولا من يكون الكمال عندهم في ان يعملوا بجهالة من غير ان يعلموا
 ولا يجوز في الاسلام ان يكون هناك شيء اسمه (فقيه) وآخر
 اسمه (صوفي) وما دام كلاهما ممتازاً عن الآخر ولهذا رئاسة
 ولذاك أخري فالدين في خطر والحال في وبال بل الواجب
 ان يكون الفقهاء هم الصوفية والصوفية هم الفقهاء وان يكون

العلماء هم رجال العمل وأئمة الارشاد او بعبارة متعارفة (مشايخ الطرق)
وان يكونوا هم اصحاب السلطان الاعلى والكلمة المسبوقة والنفوذ
النام عند العامة لكي يمكنهم ان يهدوهم الى طريق الحق
ومناهج الصدق ويخرجوهم من تلك الظلمات التي يوقعهم فيها
ياكثر مشايخ الطرق بما لهم من التأثير الاعتقادي ولا يجوز ابداً
ان تترك الامة في جهل شديد وانحراف تتقاذفها امواج الشهوات
واخلاق الامم المتغلبة ويتحكم فيها هو الا الهة باسم الدين والتصوف
كما انه لا يجوز الاعتقاد بانه لاشيء هناك فوق ما يعلم من الفقه
والتوحيد بل وما يصل اليه العقل الانساني من الكمال الاسلامي
وجهد التصوف وما عليه الصوفية كلية

بل الحق ان هناك نوعاً من الكمال الاسلامي هو اعلى
سائر انواع الكمال ومنتهى مراتبه لا يصل اليه الانسان من طريق
العقل بل من طريق الذوق وتصفية النفس والانتشال من احوال
الطبيعة بمجاهدة النفس والاشتغال بانواع الرياضة والعبادة وان المؤمن
لا يكمل حقاً ويقال انه وصل الى الغاية التي يدعو اليها الدين الا
لذا يحصل عنده هذا الذوق وعمر قلبه بالانوار الالهية والاسرار

القدسيه واقترّب من الملاء الاعلى وكان من اهل البصائر العاليه
والعلوم الذوقيه الخافيه فذلك هو لب الدين واكثر مقصده ولا
بد للمؤمن منه والعالم احوج الناس اليه فهكذا كان رسول الله
وكان خير اصحابه واهل الطبقة العليا من المسلمين ولا شك ان هذا
غايه علم التصوف . نعم انا لا انكر ان حصول هذه الغايه كما ينبغي
صعب وان النفس في وجداناتها يعارضها الوهم كما يعارض العقل
في ادراكه وانها بصفات العجيبه ربما تتمثل لها الحقائق في
صور شتى ومن اجل هذا كان حصول غايه التصوف عند
بعض المشتغلين به على عكس المطلوب ووقع كثير منهم في
اشياء كانوا بها من المتغالين المجاوزين حدود الاعتدال ولكن ذلك
كله لا يتقص من اهمية الغايه الاصليه التي يدعو اليها التصوف
ولا يكون مانعاً من وجوب الاشتغال والتحقق به على وجه مقبول
معتدل كما ان جنوح النقل في كثير من مدركاته ووجود فرق
كثيرة من اهل النظر قد ضلوا سوا السبيل في نحو علم التوحيد
لا يكون مانعاً من وجوب الاشتغال به

انا لا اريد ان يكون العلماء كهؤلاء المسمون (متصوفه) في

مختلفنا من تركوا للادب بأسرها وسائر المصالح العامة واقتصروا على
 التصوف وعكفوا عليه مع اهل كغير مما يجب على المسلم القيام به من
 شؤون هذه الحياة ومع الجهل بكثير من العلوم العقلية والنقلية التي
 يجب تعلمها ولا اريد ان يكونوا على الاحوال والصفات التي عليها
 (مشايخ الطرق) الآن الموجهة للازدراء والتحقير ولا اريد ان
 يتجاوزوا قبة الحد ويخرجوا الى طور الشطح ولا ان يكونوا كابن
 العربي وامثاله بل اريد ان يشتغلوا به على الوجه الذي تحصل
 لهم تلك الملكات الروحانية العالية والانوار المسامية ويحصل لهم
 ذلك اللذوق الصحيح فيكونوا من لمثال ابي حامد الغزالي حيث
 شرب من الحوضين وتناول بالكأسين واريد ان لا يكون
 احتقار كلمة (صوفية وتصوف وطريق وعهد وفقراء) ونحو ذلك
 سدا مانعا محجبا عن تلك الغاية السامية النفيسة فان الدرء اذا
 كانت في عذره وجب اخذها منها وتنظيفها والانتفاع بها
 ولا اتحاشى ان اقول ان من لم يشتغل بالتصوف على هذا المعنى
 ليحصل هذا القدر لم يتدق ظم الدين ولم يصل الى شيء من
 حقائقه الروحانية التي هي المقصود الاصيل وبها الكمال الانساني وان

من اقتصر على هذه الاحوال والعلوم المألوفة عندنا اليوم فهو واقف مع القشر ولم يصل الى اللب اصلاً

على ان هذا النوع من الكمال الوجداني الروحاني كان معروفاً عند الفلاسفة قبل الاسلام وكانوا يجتهدون في تحصيله و يجاهدون غاية المجاهدة ويحصلون به على الفضيلة الذاتية ويصلون من العلوم الحقيقية والاسرار الغامضة الى ما يستحيل الوصول اليه من طريق العقل ولذا خفيت اكثر عباراتهم على اهل النظر المجرد

ومن هذا فاني ارى وجوب الاشتغال بعلم التصوف على النحو الذي تقدم بيانه ثم السعي في التحقيق بمضمونه فان مجرد علمه كعلم الفقه لا يفيد بدون العمل وافضل ما يتلقى عنهم هذا تلقياً بوثر في النفس ويحمل على العمل هم من يكونون متصفين به (وان لم يعرفوا من الفقه وغيره الا بقدر ما تمس اليه الحاجة) ولكن تلقيه على اي حال مفيد

ولهذا الموضوع بقية كبرى ربما اتينا بها في فرصة اخرى والله هو الهادي الى الصراط المستقيم

علم القراءات

علم القراءات يتعلق بعباد الدين واساسه وهو القرآن ولا جرم انه بذلك ينبغي ان يكون من اشرف العلوم الدينية التي يتفاضل بها العلماء اذ حفظ القرآن والمحافظة عليه بطرقه السبع المتواترة من الامور المهمة التي يجب ان يعتنى بها

ولكن ذلك اليوم منبوذ عند العلماء حتى انه لا افضلية لمن يعلمه على من لا يعلمه وموكل امره الى (الفقهاء) وهو لاء لارابط لهم ولا نظام ولا ضمان لوجودهم وقد ينقضون بسبب عدم اقبال الناس على التعلم هذا فضلاً عن ان ذلك العلم لا يعلم الا بالاجرة (ولو كان المعلم من العلماء) وذلك نقص وتضييق لا يجوز ان

فمن هذا ارى ان هذا العلم وان لم تحتّم معرفته على كل عالم فلا بد من اعتباره ميّزاً من اهم المميزات التي يقع بها التفاضل وان من يعلمه من العلماء فعليه ان يقرأه في درس عام

كباقي الدروس والا لم يكن له به ادنى امتياز

ولهذه المناسبة فاني اذكر ان اعتناء العلماء بحفظ كتاب الله قليل جداً وكثير منهم نسيه وقد لا يخطر بباله ان يتلوه ليحفظه

وهذا من اعظم النقص لو اوجب على العلماء ان يكونوا اشد
الناس حفظاً للقرآن واستحضاراً لآياته كي يستشهدوا بها عند
الدواعي ويذكروا منها في كل موضع ما يناسبه ويطبقوها
على جميع الشؤون

ولقد صنعت ادارة الازهر خيرا جزيلا حيث اشترطت
حفظ نصف القرآن على من يريد ان يلحق بطلاب العلم ولو
اشترطت حفظه كله لكان اولى

على ان من ما بوجب الاسف ان بعض اللجان الموكول الى
عهدتها اختار الطالبين في القرآن كثيرة الاهمال مع ان هذا يترتب
عليه ضرر كثير نسأل الله تعالى ان يوفقنا الى ما فيه الخير والنجاح

التاريخ

لا يجهد قدر التاريخ الا جامد لا يعرف من اين يستفيد
وينحي عقله ويوسع مجال نظره ولا كيف يصل الى كنه الحقائق
ولا يخطيء في اصابة الزمن ولا يفتد بظواهر الامور ولا
كيف يجد الشبيل الى معرفة المستقبل الجليل ويجلي منعه عظة
واعباراً ويعمر قلبه بالوجدان الشريف . . . نعم لا يجهد قهر ولا

من يجهل بذلك لا يشك تلك زمني بعض فوائدها وثمراته وكتفه
لا ومن المعلوم ان اكثر ما يفيد كمال العقل التجارب والتاريخ
هو العلم الذي يعطيك من التجارب كما يكون لمن عايش منذ بدء
العالم الى اليوم الذي انت فيه . يربك على الامم حتى كانت
معهم وياخذ بيدك الى الملك حاضرها وباديها حتى كانت فيها
ويشهدك الحوادث والمناظر الغابرة التي حصلت في اكثر من
سنة الآف سنة ويطالعك على ما لو كنت في زمنه ما استطعت
الوصول اليه من دقائق السياسة وما كان يجري في قصور الملوك .
يعطيك علم التاريخ هذا واكثر منه ولكن لا في مثل ما يلزم
لذلك من المدة ولا نصفه ولا سدسه ولا عشره ولا واحداً من
الف بل في بضعة شهور او سنة على الاكثر . يعطيك هذا وقد لا يحتاج
منك الى معلم ان كنت ذا فكر ثاقب واستنتاج صحيح ولا يطالب
منك الا الالتفات اليه لكي يمنحك هذه العطايا الجليلة والكنوز
الثمينة الغالية

للتاريخ فائدة هائلة قد لا يعرفها الا من قرأ التاريخ او رأى
العمل واقتنوا من فوائده التاريخ فانه يربي الفكر الى درجة عظمى

ويؤثر في الاخلاق تأثيراً لا يمكن ان يصل اليه الانسان من
دونه ويرقى العقل اكثر مما يتصور . وشيء يحضرين يدرك
العصر الحالية والامم البائدة والممالك السحيقة باعمالها وعاداتها واخلاقها
ومدنياتها وحسناتها وسياساتها ويمثل الحوادث بين يدك كلها لتأخذ
منها خلاصة المستحسنات وتبتعد عنها عداها لجدير ان تكون
له اعظم فائدة

حسبك في هذا ايضاً كتاب الله الذي اتى على شيء كثير
من تواريخ الامم وحث على التأمل في احوال البائد منها اغرض
الاعتبار والموعظة

ولكن من المهزب انا نجهل تاريخ كل شيء حتى تاريخ
انفسنا . . . وقد لا يكون للتاريخ عندنا حظ الا ان اصله تواريخ
او تاريخ . . .

قلت نجهل تاريخ انفسنا وهو حق لاننا نجهل تاريخ وطننا
وعنصرنا ودولتنا الحاكمة علينا ولا نعلم من هذا ما يعلم غيرنا
عنا . نجهل تاريخ ملتنا وكيف ظهرت . نجهل تاريخ مذاهبنا وكيف
نشأت . نجهل تاريخ الامة الاسلامية والاطوار التي تقلبت فيها

وكيف نشئت وتمزقت كل ممزق وما هي اسباب ذلك (كما
 اتنا لانعلم الآن في اي البقاع هي ومن بحكمها وما هو حالها
 للجهل بالجغرافيا اهذا فضلاً عن ان نعرف غير ذلك من انواع
 التاريخ . واي نقص يمد هذا النقص واي عيب بعد
 هذا العيب

لو كان هذا العلم من المستصعبات لكان في ذلك بعض العذر
 ولكنه في الحقيقة علم سهل . علم اوقات الفراغ . علم يصح ان
 يؤخذ مأخذ الراحة من عناء التفكير في العلوم الاخرى . علم
 يكفي الانسان ان ينظر اليه نظرة قبل نومه وهو مستلق على
 فراشه . اذا فليس من مانع يمنع عنه الا بمجرد الكسل وعدم التنبه
 وعدم الاحساس بالنقص الهزلي وفقدان ملكة حب الكمال من
 وجهه الحقيقي

من التاريخ تاريخ اطوار النابغين في العلوم والمعارف
 والمخترعين والمكتشفين والمؤثرين في ترقية الامم والفاتحين
 والملوك المجددين للدول الخ الخ وقراءة مثل هذا يبعث في النفس
 نشاطاً شديداً ويحمل على الجد والعناية والترقي ويمجدد في الانسان

حب الكمال والوصول الى اعلى مناصب الرفعة من اوجهها الحقيقية
الممكنة. ويعلم الانسان الثبات ومصارعة الايام وذلك اهم ما يتوقف
عليه التقدم

ومن التاريخ ليضاً تاريخ المال والمذاهب والآراء - وهو من
اهم ما ينبغي ان يعنى العلماء بل قد يكون من خصائصهم
وهنا استلقت الانظار الى انه لولا التاريخ ما امكن فضيلة
استاذنا الشيخ محمد عبده ان يأتي بكتايبه الجليلين (الرد على
هانوثو) والاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) على النمط الحسن
المفهم الذي جرى عليه فيهما ولا ان يذب عن الاسلام ويدافع
عنه بما يقبله ويشهد بمبادئه كل انسان

فلهذا واغيره اري من الواجب على العلماء وطلاب العلم
دراسة التاريخ والاعتناء به والاستفادة منه وان يكون عندهم
بالمنزلة التي ينبغي ان تكون لعلم مثله والله هو الهادي والمعين

الجغرافيا

الجغرافيا هو العلم الذي يشتغل اليه بكل انسان بطبيعته
وهو الذي يتسائل كل الناس (وهمهم العلماء) عن مسأله بحرئطم

اين الهند واين الصين واين اوربا واين اليابان
هو العلم الذي يوجه حق الإخاء والاتحاد والتعاون بين
المسلمين المنتشرين في بقاع الارض اذ من اللازم ان يعرف
المسلم فضلاً عن العالم ما هي الاماكن التي يتوطنها المسلمون وكم
عددهم وما هي كيفية معاشهم وما هي الحكومات الحاكمة عليهم
الى غير ذلك وكل هذا لا يمكن ان يعرف الا من الجغرافيا

الجغرافيا هو العلم اللازم لكل من يفار على دينه ويهمه
انتشاره في بقاع الارض ليعرف ما يمكن نشره فيها وما لا يمكن
كما يعرف القس ان او ايط افرقيا مثلاً وان صعبت مسالكها
كما هو مبين في الجغرافيا ولكن من السهل نشر المسيحية فيها
لان لاهلها متوحشون على غير دين او على دين وثني والاكثر
تابع للحكومات مسيحية فيأتون افرقيا ويتجولون فيها وهم كأهلها
في العلم بها وبطبائنها قد لا يحتاجون الى دليل ولا يمكن ان
يفرد بهم احد . ولكن من اين يكون لنا هذا ونحن لولا واجب
الصلاة ما عرفنا اين الحجاز واني لنا مثل هذا ونحن لانعرف
بلاد المسلمين فضلاً عن غيرهم

اترى انه لولا الجغرافيا كان يمكن للعرب ان يفتحوا الممالك
وينتشروا في تلك الاقطار الواسعة

اترى انه لولا الجغرافيا كان يمكن للاورباويين ان يغلّبوا على الشرق
ويحتلوا بلاده ويحتكروا خيره ويضعفوا تلك القوى الاسلامية
الهائلة بل يعدموها حتى انهم يقاسون اشد المتاعب ويرتكبون
الاهوال ويخاطرون بانفسهم في السياحة لمجرد وصف البلاد وبيان
مواقعها وطرقها وعادات اهلها ودياناتهم الخ الخ الخ

الجغرافيا دليل السياحة في الارض والسياحة رأس النجاح
وداعية الكمال وامن الفضائل وكم مرّة حث القرآن عليها بنحو
قل سيروا او لم يسيروا الخ الخ . ولكن نحن ما اجهلنا بحاضرنا
وبادينا وما اشد تقصيرنا في اداء الواجب . لم لا نتعلم الجغرافيا
فنعلم مواقع البلاد وما هي عليه . لم لا نتعلم الجغرافيا ونسير في
الارض ونسافر في طلب المعالي . لم لا نتبع سبيل اجدادنا الذين
كانوا يسافرون المشهور لمسئلة واحدة من العلم . اليس من العيب
ان لانعرف موقع عاصمة دولتنا العلية . لم لانعرف البلدان ونكثر
من السفر الى الهند ليشد بعضنا ازر بعض والى الصين لتقوي

اخواننا هناك والى العجم لنزيل سوء التفاهم الديني بين الامتين
ونزيل هذا التباغض والعداء الحاصل لاسباب واهية . لم لانذهب
الى مراكز دعاة الي الاصلاح والنظام والتقدم والمحافظة على
الاستقلال بتعميم العلم والتربية مبينين ان الدين لا يخالف كثيراً
من محدثات الافرنج . لم لانذهب الى بلاد العرب حيث الامم
البدوية لتربي من عقولهم وتقوم من اخلاقهم . بل لم لانسافر الي
اوربا اووقف الناس هناك على حقائق الدين الاسلامي بالاسلوب
الحسن ونجاهد في الله ذلك الجهاد العلمي الذي لاتسبل فيه
الدماء ونزيل تلك الاكاذيب التي يشيعها بعض رؤساء النصرانية
عن الاسلام واهله

وكل هذه الواجبات لاتتم للانسان وتسهل عليه الا بعلم
(الجغرافيا) ذلك العلم البسيط الضروري الذي انتشر وصار يعلمه
سائر الناس حتى صفار المكاتب ولا يجمله الا نحن ورعاة الغنم . هب
انا لانحب ان نعلمه لامثال هذه الثمرات التي قدتها اليس
الجهل به الان يعد عيباً عظيماً ويحط من قدر الانسان مهما كان
كعبه عالياً في العلم او الورع

ولا بأس ان اذكر هنا حادثة سمعتها عنها توهثر في اكابر
علمائنا وهي ان فضيلة الشيخ عبد الكريم سبلان توجه مع احد
افاضل جبل لبنان لزيارة فضيلة المرحوم الشيخ الانبائي فلما استقروا
قام حضرة الشيخ عبد الكريم بواجب التعريف وان هذا الزائر
من جبل لبنان فسأل المرحوم او احد الاكابر في مجلسه اين جبل
لبنان فاشتمزت نفس الزائر وقال بعد انصراقة لقد اخفت خطواتي

فضيلة المرحوم علمه لا ينكر وفضله اشهر من ان يذكر وعلم
الجغرافيا لم يكن يأخذ منه اكثر من شهر وكذا غيره من اكابر
العلماء ولكن انظر كيف ادى التهاون بالصغائر الى الخط من
قدر الاكابر

افبعد هذا يليق ان نجعل هذا العلم فنحل اولا بالواجب الديني
وثانياً بالواجب الادبي وثالثاً بالواجب المادي الذي من اهم اسبابه
السياحة التي لا تتم الا بالجغرافيا

يقول جمهور العلماء والطلاب ان الجغرافيا من العلوم (الاجنبية)
(ومن قبل ولا يزال بعضهم يسمي نحو المنطق والبيان) العلوم
البرانية) وينظرون الى هذا العلم كما ينظر الى الاشياء الداعية الى

التفرنج والتي تعد من مقدمات الانسلاخ عن الدين ولهذا فقد
 قابلوا تقرير تعليم الطلاب علم الجغرافيا بالسخط التام وعدوا ذلك
 من المصائب التي تدل على اننا في آخر الاعصار التي تتوارد
 فيها المنذرات بضعف الدين وانحطاطه . ولكن لو نظرنا بعين
 التبصر لم نجد في الجغرافيا اجنبياً الا كلمة (جغرافيا) وان كل ذلك
 من فعل الاوهام والجمود الذي احاط بنا فان عدم تداول الشيء
 بيننا او بين آباءنا مثلاً لا يكون دليلاً على بطلانه ومنابذته
 للدين . ووجود اقوام يأخذون مثل هذا العلم الخاصة التقليد الاعمى
 لا يمنع كونه حسناً في ذاته ينبغي ان يؤخذ لما فيه من المنافع
 لا مجرد التقليد والتفرنج وخلع القديم من حيث هو قديم واخذ
 الجديد من حيث هو جديد

فلهذا ارى انه لا بد للعلماء الذين لا يعلمون هذا العلم ان
 يتعلموه ويعلمون انه يكفي له اوقات قليلة من اوقات الفراغ
 وانه علم يؤخذ . مأخذ التسلية والاستراحة من الاشتغال
 بتحقيق مسائل البلاغة والمنطق والكلام

اللغات الاجنبية

مما اراه واجباً على العلماء تعلم اللغات الاجنبية فانهم نواب
 عن سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتبليغ
 وكيف يمكن تبليغ تلك الامم الكثيرة التي لاتعرف العربية
 وابقافها على حقائق الدين الاسلامي اذالم يكن حملة الدين
 عارفين بلغاتها واساليب تلك اللغات وادابها ليتمكنهم ان يصوروا
 لهم المعاني المطلوبة بصور مؤثرة

يكاد يكون اختلاف اللغات اختلافاً نوعياً ذاتياً لانه
 يوجد من الوحشة وعدم الاشتلاف اكثر مما يكون بين نوع
 وآخر وبسببه لا يمكن لاحد الطرفين ان يشارك الآخر في
 ما يحس به وفيما يخالطه من الوجدانات والآراء والافكار والاميال
 بل قد يوقع في سوء تفاهم وتعاند من غير ان يكون هناك ما
 يوجب ذلك وقد يفهم احد الطرفين في الآخر الحسة والدناءة
 وسوء القصد الخ من غير ان يكون هناك تحقق اشيء
 من ذلك . ولا مثال لهذا اكثر مما بين الامم الاسلامية

وبين الافرنج

ولو كنا نعلم اللغات الاخرى لزال اكثر ذلك ولا يمكن لعلائنا
ان يقنعوا سواهم بمزايا الدين وفضائله

هو لاء اتمسس والمبشرون بالدين المسيحي يجاهدون اشد الجهاد
ويقاسون اشد المتاعب في تعلم اللغة العربية لكي ينشروا بواسطتها
الدعوة الى المسيحية بين المسلمين ثم هم يجازفون بارواحهم في سلوك
الصحارى والقفار واقتحام اشد الاخطار ويناديرون بسطة العيش
ولذة الراحة والترف في بلادهم طمعاً في نصير واحد من المسلمين
او غيرهم . افلا يكون لنا من ذلك عظة والا بكفينا هذا تشبيهاً
على اداء الواجب

بحرف دعاة النصرانية كلام الله (القرآن) عن مواضعه و يترجمونه
تراجم فاسدة ويفترون على رسول الله الكذب ويصفون من الاحوال
المفترة على رسول الله وعلى اصحابه ما يمثل الاسلام والنبي واصحابه
اشنع تمثيل واقبحه كي بوغروا صدور تلك الامم علينا ويملاؤها
بفضا وكراهة واحتقاراً للاسلام والمسلمين ونحن لاهون غافلون
كسالى عن القيام بالواجب ثم يقوم رجل من الافرنج يذب عن

الاسلام ويبين فساد ما افتروه وكذب ما ادعوه ونحن ناثمون
 لانسمع ولا ندري شيئاً من هذا الموضوع بل وبأني بعض المسلمين
 اهل الغيرة فيترجم هذا المقال باللغة العربية ثم لا يصل خبره الى
 اسماعنا وهل يعلم اكثر العلماء ان في الوجود كتاب اسمه
 (الاسلام - خواطر وسوانح) مطبوع باللغة العربية في هذا الموضوع .
 كل هذا لتجيب لغات العالم مع الغفلة عنها ينشأ عن ذلك من
 الاضرار اللمة والقصور المريب

اعلى اكثر علمائنا لا يعلمون ان بعض الاجانب كان يعلم الناس
 ان النبي كان شرباً للخمر يمضي ليله مع الموهسات ثم يصبح مدعيّاً
 انه كان مع جبرائيل عليه السلام وانه انما موه على عقول الناس
 بانه اتي بجحامة وصار يضع لها حبات القمح في اذنه حتى اعتادت
 التقاطه منها ثم اخرجها امام الناس فكانت تأتي لتبحث عن غذائها
 في اذنه وهو يومئذ انها جبرئيل اتي لياقي في اذنه كلام الله وان
 دين الاسلام دين وثنيه الي غير ذلك من الافك والبهتان
 العظيم وكانت نتيجة ذلك ان تمثل المسلمون في اعين الاجانب
 بهيئة المتوحشين الناقصين الاشرار

فأولاً رغبوا بالمرّة عن دين الاسلام وعدوه من التقائص
 وثانياً ساموا المسلمين بأنواع الخسف والاحتقار وكروا عليهم بخيلهم
 ورجلهم وامتلكوا ديارهم ومالهم . افلو كان هناك من علمائنا من اتاهم
 الله من الحكمة وقوة العقل والتنور وسعة الاطلاع ومعرفة لغات
 الامم والخبرة باساليب السياسة والارشاد والتحايل ما يليق بالعلماء
 اما كان في قدرته ان يخفف من حرارة هذه النار المستعرة
 في الصدور ويخفض من هذه الاحقاد المتكئة في القلوب ويدفع
 عن المسلمين شر هذا الاحتقار بحسن ارشاده وفائق حكمته
 واقناعه وبيانه لحقائق الاسلام ومحاسنه الجمة المنطبقة على المصالح
 الاجتماعية والطبيعة والانسانية وشرح اسراره ومقاصده السنية .
 بل اما كان يرغب الكثيرون من الاجانب في اعتناق الاسلام
 فان تلك الامم المتعددة والجموع الكثيرة لا تخلوا ممن اذا عرف الحق
 اخلد اليه ولم توءثر عليه مظاهر العادة وافاعيل الاوهام

واني لا ازال اقول ان العالم اذا استكمل عدته وادى وظيفة
 فعل ما لا تفعله الاساطيل ولا تآثر معه مدافع مكسيم وقلب بيان
 العالم وبدل نظام الوجود كما يشاء الله والله في ذلك انما هو

العقل المفكر واللسان المبين . انا لانكر ان هناك من الناس من يتعلم اللغات الاجنبية لمجرد التفرنج والمحاكاة وحب التظاهر والتحقق بصفات وعادات الافرنج مثلاً لالعة سوى ذلك ولكن هذا لا يمنع من وجوب تعلم هذه اللغات وامثالها للعلل والاعراض التي تقدم بيانها فذلك من اهم المهمات التي ينبغي ان يتنافس فيها اهل العلم والله يهديننا جميعاً الى الصراط المستقيم

الحساب

ماذا اقول في هذا العلم وهو من الضروريات الاولى والملازم الادبية والواجبات الدينية لتعلم نحو الفرائض والقيام بفرائض شتى . علم لا يستغنى عنه المتوحشون فضلاً عن غيرهم . علم ينبغي ان يتلقاه الانسان مع اول ما يتعلم . علم يقوي العقل ويورث انظر الصحيح . علم لم يتركه ساداتنا الاولون فكيف يجوز لنا مع هذا ان نتركه ونضرب صفحاً عن منافعه التي لا يستغنى عنها ابداً وكيف نرضى على انفسنا هذا النقص الفاحش والخلل الواضح ولا نتعلم شيئاً ضرورياً يعلمه ويعلمه من هو اصغر منا واحقر في نظرنا . اليس من العار الكبير ان يوجد كثير من العلماء لو سئلوا عن

عن نتيجة ضرب بعض الاعداد البسيطة لاجابوا سكوتاً اليس من العار
ان يوجد بين ظهرانينا وفي مدارسنا الدينية التي نحن اساتذتها
و معلموها قوم اجانب من اساتذة المدارس الاميرية يعلمون هذا
العلم بمراتب كبيرة ثم لاتأخذنا الغيرة ان نتعلمه ثم نعلمه
تداركاً للنقص الظاهر افيتكبر بعض اكبرنا ان يتعلم منهم ايماً
ويرضى ان يكون انقص منهم دائماً أبنغي ان يكون ظهور
الانسان وعلوه في نفسه او عند الناس سبباً في تمنعه ان يتعلم
ما يحقق هذا العلو لان كانت الفضيلة عندنا بكبر العقل وسرعة الادراك
وملاكة الفهم فان علم الحساب افضل ما يعين على ذلك . فلماذا
ارى انه لا بد لمن يتعلم هذا العلم من العلماء والطلاب ان
از يتعلمه ولا يستنكف ان يتعلمه ممن هو اصغر منه ان لم يمكنه
الاستقلال به فجزاء التقصير الخضوع للصغير على انه اولى من
دوام الجهل والله الموفق والمعين

الهندسة

لا يظن القارىء من وضعي لهذا الاسم ضمن ما ارى ان
يعلمه الطلاب والعلماء اننى اريد ان اجعلهم مهندسين وان

اجعل المدارس الدينية تغني او تضارع مدرسة المهندسخانة . كلا
ولكني اريد ان تعلم مبادي هذا العلم واجب لتقوية العقل وتقويمه وتوسيع
دائرته فلقد كان الحكماء السابقون لا يقبلون من التلامذة الا النابغين
في هذا العلم لنفس هذه الحكمة وايضاً فان طبيعة الجهل بشيء
ما يعلمه بعض الناس يؤدي الى النقص في اعينهم والعالم من
حيث هو عالم ينبغي ان يتأهل ليكون محترماً في اعين سائر
الطبقات وخصوصاً اهل المدارس وذلك لا يكون الا اذا كان لدى
العلماء الملم بشيء من سائر ما يتعاملونه فيها . كيف لا يكون من
الامور اللازمة تعلم مبادي الهندسة ولنا في كل يوم وقفة حينما
ترد في الكتب التي نقرأها في نحو المنطق امثلة هندسية فلا
نكاد نفهم المراد . فلذلك ارى من الكمال الواجب ان يتعلم العلماء
والطلاب شيئاً من الهندسة بل شيئاً من كل علم على قدر ما
تسمح به الظروف . نعم لا اقول ان الهندسة كالحساب ولا كالجغرافيا
ولا كالتاريخ ولكني اقول انها كمال وان منها قدر لازم والله
الموفق لما فيه الخير والصواب

الانشاء

اذا كان المرء باصغريه قلبه ونسانه فلا شك ان القلم احد
 اللسانين بل هو افضلهما واحقهما بالعناية والاعتبار لان عمله
 عام دائم فعمل اللسان الاصلى من الاعراض السبالة قد لا ينتفع
 به الا من يخالط صاحبه ويسمعه اما عمل القلم فهو من الصفات
 الثابتة ينتفع به من يخالط صاحبه ومن لا يخالطه ولو كان بينهما
 بعد المشرقين بل وينتفع به من في عصره ومن يأتي بعده
 على مر الليالي والايام ولان قامت الحاجة الي الكتابة في كل
 عصر فهي في هذا العصر اشد كما انه وان احتاج اليها جميع
 الناس فان العالم اشد احتياجاً لانها من اهم اسلحته التي يقضي
 بها اغراضه ويقوم بها من دعائم الاصلاح ما شاء الله

فضل الانشاء معلوم من اول الدولة الاسلامية وقد كان
 سابقاً لاصحاب الاقلام النصيب الاوفر من التقدم والرفعة بل
 كان هو الميدان الذي يتسابق فيه الفضلاء من اهل العلم
 والادب

لا ينكر فضل الانشاء وقيمه العالية احد حتى الجهال والبسطاء

والاميون الذين يحبون دائماً ان يكتبوا لاهليهم واصدقائهم بعبارات
انشائه بليغة وقد يدفعون في سبيل ذلك اجوراً عظيمة .
وفائدته في التأثير اشهر من ان تذكر فقد تفعل الجملة الواحدة
من جل الانشاء ما تعجز عنه السيوف والحراب والمدافع وطالما
اورث الانشاء غني وجاهاً وجلب سلاماً واقام حروباً ونجى من الموت
وطالما كانت له اليد الطولي في اوبة العصاة واناة الفاسقين ومن
العجب ان يجعله مع ذلك علمائنا جهلاً فاحشاً وصل بهم الي حد
ان تضرب بهم الامثال في ذلك وان تتخذ بعض مكاتوباتهم
سخرية واستهزاء لدى بعض الناس

وحقاً ان اكثرهم لا يحسن كتابة الخطابات العادية نصف ما
يحسنها تلامذة المدارس الابتدائية وهذا من العار الفاضح والحزي
العظيم
ياعجباً كيف لا يعرف الانشاء قوم جعلت العلوم العربية عندهم
موضع التنافس والتسابق اكثر من العلوم الدينية المقصودة
بالذات . عليها وقفوا حياتهم وفيها امضوا اعمارهم ثم يفوقهم في
ثمرتها غيرهم من جمهور الناس ام كيف يجهل الانشاء من يكاد

لا يكون لهم وسيلة في القيام بالواجب عليهم افضل من الانشاء .
 ثالله ان هذا قلب للكيان نفوذ بالله العلي العظيم . اعجب من ذلك
 اني سمعت كثيراً منهم بدم قراءة فضيلة الاسناد الشيخ محمد
 عبده وتأليفه بانها اشبه شيء بكلام المعامين واصحاب الجرائد
 كأنهم ظنوا ان الخروج عن الاسلوب المعهود بينهم يعد من الغلطت
 الكبرى والنقص المشين . على ان اسلوب الجرائد الآن من احسن
 الاساليب واشدها تأثيراً ومناسبة للغة الفصحى ولو ان علمائنا
 يعرفون ان يكتبوا كما يكتب اصحاب الجرائد لعدوا من الصف
 الاول في البراعة والبلاغة وهب جدلاً ان هذا الاسلوب
 غير حسن في ذاته اليس هو الاسلوب المشهور والمؤثر الآن
 فلماذا لا نعلمه وماذا لا نأتى باحسن منه ان امكنتنا . على اني لا تفاضل
 عندي في الكلام الا بقدر ما فيه من التأثير حتى اني افضل
 العامية على العربية متى كانت مؤثرة اكثر منها وعلى كل حال
 فان نعلم الانشاء واجب من الواجبات المهمة سواء كان نثراً او
 نظماً ولا احب الاكثار من النظم ولكن يجب ان يكون مقدوراً
 للعالم وطالب العلم والله الموفق لما فيه الخير والسداد

العروض

علم العروض من ابسط العلوم على الحقيقة كما انه من اشدها
لزوماً للعالم لا لاجل ان يقول الشعر فقط بل ولا امر آخر اهم
وهو التمكن من قراءة الشعر سليماً من الكسر . والشعر لا يخلو منه
كتاب من كتب الدراسة تمثيلاً او استشهاداً

ولكن من الغريب ان اكثر العلماء لا يعرفه وطالما سمعنا منهم
كسراً وتخليطاً في الابيات الشعرية

ولبئس النقص ان يكون الشخص من كبراء العلماء ولا يدري هل
هي مثلاً لم بالضم او بالسكون وكم مرة رد في هذا الموضوع الصغير
على الكبير وهذا اعظم دواعي التحقير

فمن هذا ارى وجوب تعلم هذا العلم على من لا يعلمه ولا
يجب التوسع فيه ومعرفة الدوائر وامثالها بل قد لا يحسن ولهذا
الموضوع بقيه تجدها في مقدمة رسالتنا (المسالك الجديدة) لعلمي
العروض والقافية

علم متن اللغة

هذا العلم من اجل العلوم واعظمها قدراً بل هو للعلوم العربية

بأسرها بمنزلة الأساس أو العماد وحاجة العلماء والطلاب إليه
شديدة ليكون لهم مادة وافية بها يتكلمون ومنها يكتبون أحياناً لغة
العربية ونشر الألفاظ ونجديد المعانيها وليمكنهم أن يفهموا كتاب
الله وحديث رسوله وكلام اصحابه وما ورد عن العرب في الجاهلية
والاسلام من كلامهم المنظوم والنثوي للمحتاج إليه في
العلوم

وبإزاء اشتغالنا بعلوم اللغة من النحو والصرف والمعاني
والبيان كانت العقول التي تعطى أصل علوم اللغة شيئاً من
الإلتفات والناية

ولكن من الغريب أننا تركنا هذا العلم ووصلنا في تركه
إلى حد لا نعلم معه الغريب من الفاظ القرآن (وهذا امر سهل
قليل) فضلاً عن الحديث فضلاً عن كلام المولدين فضلاً عن
كلام العرب الخالص

نرى أحياناً قد يكرر الآية في صلواته وهو جاهل ببعض
مفرداتها وإن سئل في معنى بعض الأحاديث احتاج أن يراجع
أما كلام العرب وغيرهم من الشعراء المولدين (معنى المولودين في

عصرنا هذا) فلا يمكننا ان نقرأه الا وبين ايدينا احفار اللغة نراجع فيها اكثر كلمات كل بيت حتى ان قراءة عشرة ايات من الشعر العربي او غيره وفهم الفاظها قد يأخذ اكثر من ساعة من المراجعة

بلغنا في هذا التقصير الى الحد صرنا فيه نسمى ما لانعلمه من الالفاظ (بالكلمات اللغوية) ولو وجد مع هذا عندنا حب المراجعة، لكن فيه تسلية وتطارك للنقص بل لزال هذا النقص على التدرج ولكن من المخون ان ذلك مفقود ايضا فترى احدنا اذا سمع كلاما لا يفهمه قال (هذا كلام لغوي) ثم اعرض عنه ونأى بجانبه ولم تهمة معرفته ولا مراجعته

ماذا يكون حالنا من الخجل اذا جمعنا باحد الادباء او العلماء جامعة ودار الكلام على شيء من هذا وظهر اننا خلو منه بالمره في حين انهم من اعظم المطلعين على اللغة الا يستهزؤن بنا ويسخرون ويعتقدون ان العلماء ليسوا بشيء، يذكر

نرى التلميذ الضعيف في المدارس الاميرية وغيرها يحفظ من كلمات اللغة الاجنبية ما يويند عن الالفين وتكاسل ونحن في

في لغتنا هذا التكسل الشنيع الا تكون منزلتها، منا منزلة اللغات
الاجنبية في المدارس او نقرضها لغة اخري غير لغتنا ونعيرها شيئاً
من العناية

انا لا اريد ان نحيط باطراف اللغة حتى لانحتاج الى المراجعة
فان ذلك قد يكون متعذراً. وانما اريد انه يجب ان نزاول هذا العلم
حتى نعد من المطلعين فيه وحتى لانحتاج الى المراجعة في كل
شيء وان كان بسيطاً سهلاً

فلي علمائنا وطلابنا العناية والالتفات تذكراً لهذا النقص
والله خير موفق ومعين

علوم حقايق الموجودات

وخواصها واسرارها

يندرج تحت هذا العنوان علوم شتى لاتكاد تحصى عدا من
نحو الكيمياء والطبيع والهيئة والطب و... والي آخر ما قد
لا يخبر اسمه لي (ولا لعلمائنا) على بال وكلها من العلوم المفيدة
اللازمة تب في الدين والمعاني الادييه والامور المادييه وقد دعا الله

الى النظر في موضوعاتها غير مرة بل اكثر القرآن جاء حثا على
النظر في الموجودات.

ولا شك انه وان كفى النظر السطحي ولكن التحقق من
هذه الاشياء على الطرق العلمية مما يورث كمال اليقين . ان اعتقاد
الناظر في هذه العلوم والعالم ببعض تفاصيلها هو الاعتقاد الكامل
الذي يعد النفس الى الاقتراب من موجد العوالم كلها . وفرق كبير
بين الاثر الذي يحصل في نفسك اذا سمعت ان فلان شجاع كريم
على سبيل الاجمال وبين الاثر الذي يحصل عندك اذا شاهدت
جزئيات وقائه في الحروب ونظرت ما يصدر عنه من الاحسان
نعم نعم فرق بين الاجمال والتفصيل . فرق بين الشهود والتفديد .
الوجدان الذي يحصل من الاستكمال العلمي والنظر في الموجودات
ومعرفة انواعها ونظامها وترتيبها الخ يرفع الانسان الى حد يكاد
يجعله سلطان العوالم كلها (ولا شك . فالعلم نوع من الاستيلاء
على المعلوم) ويريه كانه يشرف عليها من كوة عليه فوقها وينجل
له . معنى السعادة والغني التامين والكمال المطلق . ويقربه من شهود
مبدأ الوجود . ونسبي . كذا كبرت جهلة العلماء . وكيف لا تعلم منه

مباديء على الاقل

لان كان امتياز الانسان عن انواع الحيوان وفضله عليها
 اما هو بقوة النطق والفكر والعلم فلا شك ان النظر في الموجودات
 مما يقويها وينميها ويحقق معني التفضيل بها وان نسبة المستكمل
 في هذا النظر الى سواء كنسبة الانسان الى الكلب الذي
 يشاركه في مطلق الادراك بل واخص منه وهو ادراك المنفعة
 والمضرة فكيف مع هذا نجعل هذه العلوم ونحن العلماء الذين لاصناعة
 لهم غير العلم والاستكمال فيه ولنا من الوقت ما يمكن ان
 يحقق هذا الكمال فيه

ولان كان امتيازه باتقان الفعل وحسن الآثار وتحصيل
 المصالح والابتعاد عن المضار فلا جرم ان ذلك لا يكون الا بالاستكمال
 في العلوم الكونية والنظر في خصائصها واسرارها فكيف لا ننظر
 فيها على قدر الطاقة

دع عنك هذا اليس الجملن بها في هذا الزمان الذي انتشرت
 فيه المعارف وتقدمت فيه العلوم بعد من النقائص الموجبة للتخفيف
 والالمام بشيء منها بعد من اسباب التفاضل ويجعل الانسان كبيرا

محترماً في اعين الناس واليس العلماء وطلاب العلم اولى الناس
بتريه المهابة والتحقق باسباب الاحترام ليكون هناك تاثير لنصحهم
وارشادهم الديني

تالله ان معرفة شيء من هذه العلوم لمن اعظم ما يكسب
العلماء والطلاب النفوذ والتاثير الواجب ويرفهم في اعين الناس
ويجعل اهل الطبقات العليا خاضعين لهم مطيعين لارشادهم

منافع هذه العلوم منافع جمة لا يستغنى عنها الانسان في هذا
الزمان وكل ما يتمتع به الناس (ومنهم العلماء والطلاب) هي من
آثارها التي توجد في لباس العالم ومسكنه واثائه وكتابه و... الخ
وتركها هو الذي اوجب الامة الاسلامية هذا الذل والصغار
والتفرق وهو الذي رفع الاورباويين عنا وجعلهم سادة وملوكاً
وجعلنا عبيداً وخدماء فالواجب على العلماء ان يجعلوا في مقدمة
ما يرشدون الامة اليه ويحثونها على التمسك به الاشتغال
بالعلوم الكونية والانتفاع بها ولا يتم لهم هذا على الوجه لمفهد الا
اذا كانوا عالمين بها ولو على وجه الاجمال

وبالجملة فان فوائد هذه العلوم لاتكاد تحصى ووجوب

الاشتغال بها لا يختلف فيه العقلاء فالواجب علينا ان نعرف مبادئها وشيئا من مسائل كل علم اذ الاستكمال فيها غير مقدور الا لمن يريد ان يقصر اشتغاله على علم منها او علمين وذلك ينبغي ان تقوم به فرق من الامة غير العلماء

المعلومات المتنوعة

يحتاج كل انسان يريد ان يعد من رجال هذا المجتمع الانساني اليوم ومن اهل الطبقات المهمة فيه الى معرفة كثير من المعلومات المختلفة التي لا تدخل تحت حصر مما يتعلق باصطلاحات الناس ورسومهم وعوائدهم ومما يتعلق بالمكتشفات والمخترعات وطرق المواصلات ونظام الحكومات واصطلاحات البريد ونظام البيوت وحاجياتها وانواع الملابس واثمانها الخ الخ ولا شك ان العلماء وطلاب العلم احوج الناس الى معرفة ذلك للانتفاع به في انفسهم والاستعانة به في تأدية واجب الارشاد وليكونوا محترمين كاملين في اعين سائر الطبقات ولكنهم على ما علم بما تقدم يجهلون اكثر الاشياء الضرورية التي من هذا القبيل وهذا عيب كبير وتقص ظاهر ومن الواجب الالتفات الى مثل

هذه الاشياء التي يسهل تحصيلها وتكبر نتيجتها وبضر لها ما والله
الموفق الي ما فيه الخير والنجاح

اقترح مفيد

الساعة وانا افكر فيما عساني ان اكون تركته من العلوم
اللازمه وفي المقادير اللازمة منها وفي معرفة الكتب التي تفيد
ذلك بسهولة . عن لي ان اقترح على رواسنا السعي في ايجاد
كتاب مختصر جامع لسائر انواع العلوم قديما وحديثا شرفيا
وغربيا عربيها وروميا وفرنجيا بحيث تذكر فيه مباديء كل
علم ومنافعه ومزاياه والكتب المؤلفة ومشاعير ائمه وكلماته
الاصطلاحية وتفسيرها الخ الخ ثم تذكر جملة الاثمه من مسائله
بعبارة سهلة بحيث تفيد الامام البسيط بهذا العلم ويمكن ان يفهمها
المتوسطون من غير احتياج الى معلم

والسعي في ايجاد كتاب آخر يجمع سائر المعلومات المتنوعه

اللازمه في العصر الحاضر بحيث يفني اطالب عن البحث والتفتيش
ثم عن لي ان اقترح ثانياً على ساداتنا الافاضل ممن يعرفون
شيئاً من العلوم اللازمه المجهولة الآن في للدارس الدينية ان يتبرعوا

ويجودوا على العلماء وطلاب العلم باعطاء درس منها في المدارس الدينية قياماً بالواجب الديني والاخوي والوطني والادبي وحباً في تقدم رجال دينه واهل ملته وزكاة لمعارفه التي وهبها الله له فيدرس الطبيب في اصول الطب ومسائل وقوانين الصحة وبيان المفردات التي تحويها الاجزخانات اليوم باسمائها ومنافعها وكذلك المركبات المحضرة وغيرها الخ الخ

اقترح آخر

ليس ينبغي ان هناك مسائل كثيرة خرافية لا تكاد تخلو منها كتب كثيرة وذلك كما ورد في كتاب بدائع الزهور وغيره عن منبع النيل وانه من قبة يتفجر منها اربعة اربعة وان رجلاً وصل هناك وركب الفلك الخ وكما يظن بعض الناس من ان الارض محمولة على الثور وكما يعتقد ان الخياطة يوم الجمعة تورث كذا الى غير ذلك مما لا يحصى

وهناك اشياء كثيرة يظن الناس انها من الدين وليست منه واشياء يظن الناس انها ليست منه وهي عريقة فيه وان هناك مسائل كانت تقرر على وجه وقد بين الاكتشاف

وبرهنت العلوم العصرية علي ضدّها
وان هناك احاديث موضوعة كثيرة منشره
وان هناك عقائد كثيرة فاسدة
وان علماءنا اليوم يختلفون في بعض المسائل
ولا يخفي ان ترك هذه الاشياء كما هي فساد كبير يودي الي
تغيير معالم الدين والى عدم ثقة الناس بالعلماء والى فهم الاجانب
ان الدين يضاد الحقائق فلماذا اقترح ايضاً عقد مجتمع كبير ينظر
في امثال هذه المواضيع ويقرر الحق فيها وينشره بين الناس
بعبارة عربية بسيطة ليطلع عليها الخاص والعام ويكون
هناك فائدة حقيقية من وجود العلماء ويحقق انهم حماة العقائد
وحراس الدين كتب الفنون

المؤلفات القديمة

لا يعلم الا الله مقدار الكتب التي فيها قديماً في الفنون المختلفة
والمواضيع الكثيرة فقول العلماء وكبار الحكماء البالغة حد النهاية
في الكمال ونهاية التحقيق والاسفار عن مكنونات الحقائق .
كما لا يعلم الا الله مقدار تعبيرهم في الوصول اليها وتحضيرها بعبارات

حسنة . اي نعم لا يعلم الا الله مقدار تلك الكتب التي تركوها
لنا ميراثا يورث سعادة الابد ويستوجب الغنى الذي لا فقر بعده .
ميراث ثمين لا تقدر قيمته وقد لا يجود الدهر بمثله . ميراث حصلوه
لنا باتعاب العقل والجسم وبذل النفس والمال . ميراث كانت
تحسدنا عليه اكثر الامم . ولكن مما يوجب الاسف اننا كنا ورثة
سفهاء مبذرين غير بالغين سن الرشد فلم نلبث ان ضيعناه ولم
ندر اننا ضيعناه معه انفسنا . واعدمناه فعدمت معه سعادتنا المنتظرة
وزهب بذهابه مستقبنا السعيد

ياحسرتاه على ما فرطنا . ياحسرتاه على الكنز الثمين . ياحسرتاه على
الاثر النفيس . ياحسرتاه على اعمال الرجال وثمرات انعامهم التي
ذهبت سدى . ياحسره وبالف الف حسره . اكل السوس تلك
الكتب العالية الثمينة واعدمتها يد الجهل والاهمال
كتب الشقاء وسوء الحظ على طلاب العلوم الاسلامية في العصر الاخير
حيث لم يصل الى ايديهم ما تركه لهم اجدادهم بسبب وقوعه في يد من
لم يعرف قيمته . كم من كتاب نفيس اكله السوس . كم من كتاب مزق .
كم من كتاب حرق . وعلى هذا النمط ضاعت تلك الكتب وذهبت ولم

يقع منها الإبقية باقية متفرقة في الزوايا كادت تذهب أيضاً لاهمالها لولا
 أن بعث الله من ينشر بعضها مما لم يكن الناس يعرفون باسمه
 من قبل . فما هذا القصور والتقصير بل ما هذا السفه والتبذير
 اليس من العجيب أن تحمل الكتب النفيسة حتى تضع وتعدم
 ولا يتمسك إلا بالكتب التي تعد من حشالة الكتب لما فيها من
 القصور والخطأ وعدم حسن الافادة وعدم التحقيق . ما لنا لا نرى
 اليوم متداولاً من كتب اسلافنا الا النادر النافه الذي لا يعد
 شيئاً بجانب ما اهل

تالله لولا ان الله اتاح للامة قوماً قليلين ممن يحبون اظهار
 الكتب النافعة وآخرين ممن يحبون طبع الكتب للتجارة ما تمتعنا
 بشيء من الكتب النفيسة القديمة التي ظهرت في العهد الحديث .
 فعلم الاصول مثلاً لم يكن مطبوعاً فيه ومشهوراً سوى جمع
 الجوامع بحاشية البناني وحاشية ابن قاسم وهما من من التشويش
 والخلط والقصور بالمنزلة التي يعلمها الناس وكان الطلاب والعلماء
 يبحثون عن حاشية المطاراهي وليست بذلك الشيء بالنسبة الى
 فقه العلم افلا يجدونها وربما عثر بعضهم عليها او على شيء منها

فقطه الآخرون فلما طبعت عدوا ذلك من حسن حظهم وعنوان
سعادة جديدة ونشأة اخري عالية في علم الاصول ولم تطل
الايام حتى اظهر الله في هذا العالم ما هو اعلى وابدع وهو مختصر
ابن الحاجب والتحرير للكمال ابن الهمام والمنهاج للبيضاوي فكان
ذلك عنوان النشأة الجديدة والسعادة التامة حقيقة لطلاب علم
الاصول جروا بها في هذا العالم شوطاً طويلاً وعلوا ان المظار
ليس بشيء في جانب ما في هذه الكتب من جواهر الاصول .
وقد يكون هناك (وهو الواقع) ما هو اعلى وارقي ولمكننا لانعرفه
كما ان هناك في كل علم كتب نفيسة جداً لانعلمها بل هناك
من الكتب ما الف في علوم لم تزل تلك العلوم مجهولة عندنا
بالرة اما مسمى فقط واما اسماً ومسمى . فما هذا الحال المبيت .
وما هذا الجود الشديد . انقصر على كتب لاترينا من حقائق
العلوم الا اموراً بسيطة وكتبها النفيسة بجوارنا لانقد لها الايدي
حتى يأكلها السوس

يجوز ان يتلف الافرنج كتبنا ليترجوها او يطعموها (بالربية)
ونحن عاكفون على حواشي السجاعي والبناني مثلاً . يجوز ان يطبع

كتاب سيبويه في اوربا باللغة العربية وينشر ونحن لانعلمه ولا
نعلم طبعه حتى يأتينا رجل منا خارج يجب الكسب فيشره
وينشر غيره من الكتب النفيسة الضرورية . وكم من كتاب طبع
في غير هذه البلاد ونحن في اشد الحاجة الى مثله ولا نعلم اسمه
ولا رسمه ولا ندري انه طبع مع سهولة المواصلات بيننا وبين
سائر اطراف الدنيا

ظهر بيننا قريبا بعض علماء ممن بحثوا عن بعض الكتب
القديمة النفيسة وطالعوها فكنا نعد الواحد منهم رب العلم ونظن
ان هذا محض الفيض الذي خصهم الله به وكنا نبهت حين نسمع
منهم معلومات وتحقيقات ومباحث لم نكن نعرفها من قبل . ولكن هذا
على الحقيقة امرهم سهل جداً . ولو بحثنا كما بحثوا وطالعنا من
الكتب مثل ما طالعوا لكاننا احسن منهم او مثلهم ولزال هذا
التهجب وذلك الاستغراب

الكتبخانات

بلغ هذا القصور معنا انا لانعرف ابواب الكتبخانات ولا
نقصدها بل ولا يختر بياننا ان نقصدها يوماً من الايام للاستفادة

بما فيها من غرائب الكتب ونفائس العلم ولو كانت بجوارنا بل
 معنا وفرع عليها كل ساعة (ككتبخاتي الازهر والجامع الاحدي)
 اللذين لاحظ للعلماء والطلاب منهما الا استعارة الكتب المشهورة
 لغرض التعلم والتعليم . . . اليس من العجيب ان نرى الاجانب
 يصرفون اغلب اوقاتهم في الكتبخانات بحثا وثنقيا ثم نرى
 آثار ذلك في مؤلفاتهم ومعارفهم وجميع احوالهم ولا يكون لنا
 شيء من هذا الحال مع اننا اولي به منهم على ما نعتقد

اليس من الغريب ان يسافروا من مملكة الى اخري ويسبحون
 في الارض ومن اجل ما يقصدون الوقوف على ما في الكتبخانات
 من نفائس الكتب في حين اننا لا نرضى ان نكلف انفسنا
 خطوات الى الكتبخانة الخديوية مثلا

يقولون ان في الكتبخانات الاجنبية كثير من غرائب الكتب
 العربية . اأقول كان ينبغي ان نسافر لاستطلاعها عل فيها ما
 ليس عندنا

تكوين الكتبخانات وفتح ابوابها للقاصدين نعمة كبرى وباب
 سعادة هائلة لمن يدخل منه وبمقدار اساس هذا المعنى والاقبال

عليه تكون الحياة في الامم والاحزاب والفرق لكن ومن المحزن
 الغريب ان ليس لنا من هذا نصيب
 كان ينبغي ان يسأم منا موظفو الكتيبتانات لكثرة ترددنا
 وكثرة ما نطلبه من الكتب وكان ينبغي ان لا تخلو الكتيبتانات
 منا . وكان ينبغي ان نتظر الفرض بكل تشوف ونتهزها لزيارة
 الكتيبتانات . وما هي الا الجذات لو كانوا يعلمون

فلماذا ولما تقدم ارى اولاً انه لا بد ان توجد الداعية في نفوس
 العلماء والطلبة للبحث والتفتيش عن نفائس الكتب والسؤال
 عنها وجعل ذلك من موضع العناية . ثانياً انه لا بد من انتهاز الفرض
 لزيارة الكتيبتانات والاطلاع على ما فيها من الكتب الغالية
 المفيدة . ثالثاً انه لا بد من اعداد محل واسع للمطالعة في كتيبتاني
 الازهر والجامع الاحمدي . رابعاً تاليف لجنة تبحث عن الكتب
 النفيسة المطبوعة هنا او في الخارج وبيان فوائدها ومزاياها
 واثامها والاماكن التي تطلب منها في مصر او الخارج . خامساً
 الاتفاق مع اصحاب الكتب العالية الثمن على تخفيضها بالنسبة
 للعلماء وطلاب العلم حتى لا يحرم منها الفقير

سادساً تاليف لجنة تبحث عنها عساه يكون موجوداً من الكتب التي تكون اليق وانفع في التدريس من الكتب الحاضرة ابي يقرر مجلس الادارة الاعلى تدر يسها والله ولي التوفيق

المؤلفات الحديثة

كان من نتائج الجمود عندنا والتمسك بالعادات والاحوال الموروثة ان صرنا لانحج الا الكتب القديمة ولا نميل الي الكتب الجديدة التي الفت في هذا العصر بل ونعتقد ان ليس في الامكان ابداع مما كان وان من ضروب المحال ان يأتي اللاحق بشيء يساوي به السابق فضلاً عن ان يفوقه وهذا كما ترى من اشد دواعي الانحطاط والتأخر ومن الامور المثبطة للهمم والقاضية على ثمرات افكار الفضلاء اهل العقول الراجحة الذين لا يخلو منهم زمان

لو نظر المتامل الى تاريخ علومنا والتأليف فيها كيف كانا رأى ان تلك العلوم نشأت صغيرة ناقصة وان الكتب التي الفت فيها اولاً لم تكن وافية بالغرض ولم يزل يكتب ويؤلف علماء كل عصر تحقيقاً ونحريراً وتكميلاً واستدراكاً وتسهيلاً حتي وصلت

العلوم الى درجة حسنة لاثقة وان اسلافنا كانوا اذا رأوا كتباً
 ظهرت انفع من المتداول تركوا هذا المتداول وتمسكوا بالنافع .
 فلماذا امتدت هذه الحركات حركات التقدم والترقي ولما وصلتنا
 وقفت أجمودنا وانحطاطنا وتأخرنا كان هذا السكون ام لانه ليس
 في الامكان ابداع مما كان على ما يقولون

تالله ان من القصور في النظر اعتقاد انه ليس في الامكان
 ترقية علومنا وايصالها الى درجة اعلى مما اوصلتها اليها يد السلف
 وان ليس في الامكان ان توجد كتب اخرى واره جديدة بل
 وعلوم ثانية لم تكن معهودة لمن قبلنا تفيد اعظم افادة في تربي
 المعارف وتقدم الانسان

لو كنا نستعمل الجيد من كتب اسلافنا لكان لاجتنا في عدم
 قبول غيره شيء من القبول ولكن كيف ونحن ما تمسكنا الا
 بالردي، قليل الجدوى

انا لا ادري كيف يسوغ لأقوام تركوا نفائس الكتب القديمة
 وراء ظهورهم ورفضوا مهذا المحافظة على القديم وتمسكوا بالحديث
 من نحو حواشي السجاعي وابي النجا والبناني وهي على ما نعلم من

الرداءة ان يعكسوا هذه القضية الآن ويتمسكوا بهذا الحديث الذي صار (قديمًا) ويتركوا ما يحدث بعده مما لانسبة بينه وبينه في المنفعة والافادة . هانحن نرى باعيننا فائدة الاعتناء بالحديث ونتمتع بآثاره الباهرة من مخترعات ومكتشفات وآراء وافكار الاوربيين الذين بلغوا اعلى مبلغ بسبب عدم اهمال ما ينشر بينهم من الكتب والآراء والافكار الحديثة

انا لاانكر ان من الحديث مايجب اهائه وما هو ضررنا بينا ولكنى اريد ان لانه وق الباب على وتيره ر . لانسرع في الحكم قبل النظر والبحث وان لاتكون المعاصرة سببا في الحرمان وفيض الله عام لايجنصر بزمان ولا مكان ولا طائفة دون اخرى من افراد الانسان والحكمة تؤخذ من الكبير والصغير والامير والحقير وكم ترك الاوائل للاواخر ورب مبلغ اوعى من سامع وذلك فضل الله يعطيه من يشاء . ولقد كان احتقار كل جديد سبباً في اهانة النبيين والمرسلين وحرمان الكثيرين من الاستضاءة بانوار الادب المتعاقبة وكان ينبغي ان يكون لنا من هذا عبرة . ولقد وفينا هذا الموضوع شيئاً من حقه في كتابنا (الفاضل

بالفضيلة (فراجعه ان شئت

وعلى الجملة فاني ارى اولاً انه لا بد من الاعتناء بالمؤلفات الحديثة والاستفادة منها وثانياً انه لا بد من تشجيع كل مؤلف يمتاز تأليفه بمميز مفيد بالمكافأة المادية والادبية من الادارة العلمية العالية

ثالثاً تأليف كتب جديدة للتدريس او المطالعة في العلوم المتداولة او غيرها متي تبين ان هناك حاجة الى ذلك والله هو الموفق والمعين

الباب الرابع في طرق التعليم ونظامه

طرق التعليم تنقسم قسمة اولية الى ثلاثة اقسام طرق التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي وطرق تعليم الجمهور وطرق التعليم الابتدائي في المكاتب وقد ينقسم كل واحد من هذه الاقسام الى اقسام شتى فان طرق تعليم الاميين لا تكون ابدأ كطرق تعليم تلامذة المدارس ونريد الآن ان نتكلم على طرق التعليم العالي